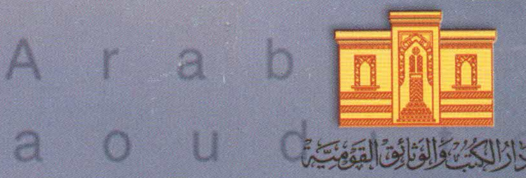


انجلترا وطريق السويس

فى القرن الثامن عشر

تأليف

د. محمد أنيس

ترجمة وتقديم وتعليق

د. عبد الوهاب بكر

تصدير

د. على بركات



مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

انجلترا وطريق السويس
فى القرن الثامن عشر



دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

انجلترا وطريق السويس في القرن الثامن عشر

للدكتور
محمد أنيس

تصدير
أ.د/ على بركات

ترجمة وتقديم وتعليق
أ.د. عبد الوهاب بكر

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

أنيس، محمد.

إنجلترا وطريق السويس فى القرن الثامن عشر / تأليف محمد أنيس؛ تصدير على بركات؛ ترجمة وتقديم وتعليق عبد الوهاب بكر. ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تاريخ مصر المعاصر، 2009-

134 ص ؛ 24 سم.

تدمك 6 - 0630 - 18 - 977

١ - العلاقات التجارية.

٢ - العلاقات الاقتصادية الدولية.

أ - بركات، على (مصدر) ب - بكر، عبدالوهاب (مترجم ومقدم ومعلق) جـ - العنوان.

٣٨٢,٦

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩/٩٤٢٣

I.S.B.N. 977 - 18 - 0630 - 6

المحتويات

تصدير

ظهر أول تأثير للتوسع الأوربى على المنطقة العربية مع نهاية القرن الخامس عشر ، وأوائل القرن السادس عشر ، عندما تمكن الأوربيون من السيطرة على تجارة الشرق ، بعد الطواف حول رأس الرجاء الصالح ، وكان ذلك عاملاً من عوامل الركود الاقتصادى ، الذى أصاب المنطقة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وكان تدفق السلع والذهب من العالم الجديد ، قد شجع الصناعات فى غرب أوربا على النهوض ، وخاصة انجلترا حيث حدث مايُعرف بالثورة الصناعية ، والتى يمكن أن يحدد لبدايتها عام ١٧٥٠ ، والتى أصبحت ممكنة بفعل التراكم الرأسمالى الضخم ، الذى حدث خلال فترة الرأسمالية التجارية ، وهى التراكمات التى أدت إلى تطور نظام الصناعات المنزلية ، لتحل محلها الصناعات الآلية ، وعلى ذلك فقد حل رجال الصناعة محل التجار فى الاقتصاد .

وبذلك أفسحت الرأسمالية التجارية الطريق فى أواخر القرن الثامن عشر للرأسمالية الصناعية ، وكان ذلك يعنى على المستوى الداخلى للأقطار الأوربية تضاؤل شركات الملكية الاحتكارية تدريجيا ، وتزايد دور الغرف التجارية ، كما هو الحال فى مارسيليا أو مانشيستر ، وفيما وراء البحار كان ذلك يعنى متطلبات اقتصادية جديدة ، فلم يعد الأوربيون يبحثون عن السكر والتوابل والعبيد ، كما كان الحال فى الحقبة التجارية ، بل أصبحوا يركزون ـ وبصورة متزايدة ـ على المواد الخام لتصنيعها ، كالقطن ومواد الصباغة والمواد الغذائية ، لمواجهة احتياجات سكان المدن الآخذين فى الزيادة .

وقد شعر العرب بتأثيرات المرحلة الثانية ، الناجمة عن التوسع الخارجى للتجارة الأوربية ، حيث تزايد اهتمام انجلترا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر بالأقطار العربية ، كنتيجة لتوسيع شركة الهند الشرقية البريطانية لنفوذها ، بعد انتصارها على فرنسا فى حرب السنوات السبع (١٨٥٧ ـ ١٨٦٣) ، التى كانت حلقة من حلقات الصراع الاستعمارى بين الدولتين ، الأمر الذى أوجد حاجة ماسة للاتصال السريع بين بريطانيا ومستعمراتها فى الهند ، وفى البداية كانت بريطانيا أكثر اهتماماً بطريق الخليج ، لكن بريطانيا وجدت فى طريق السويس بديلاً أفضل لأنه أكثر أمناً ، وبسبب عدم استقرار باشوية بغداد ، وقد شاركت بريطانيا الاهتمام بهذا الطريق كل من فرنسا والنمسا .

فقد شهد النصف الثانى من القرن الثامن عشر تنافسًا حادًا بين انجلترا وفرنسا فى هذا الجزء من العالم ، كنتيجة لمحاولة انجلترا المتكررة إحياء طريق البحر الأحمر ومصر ، وإعادته إلى مكانته التى فقدها بعد تحول طرق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح ، بعد الانقلاب التجاري الذى حدث فى أوربا .

وكان الهدف من المحاولات البريطانية خلال تلك الفترة ، هو استخدام طريق البحر الأحمر كطريق للمراسلات ، باعتباره الطريق الأقصر إلى الهند ، واستخدامه للتجارة من ناحية ثانية ، كما يلاحظ أن الصراع بين انجلترا وفرنسا حول هذا المشروع ، قد اتخذ مكانه فى مصر ، حلقة الاتصال بين البحرين الأحمر والمتوسط .

وكانت الدولة العثمانية ـ منذ فشل حملة سليمان باشا الخادم ، فى القضاء على معاقل البرتغاليين فى الهند عام ١٥٣٨ ـ قد حرّمت الملاحة فى البحر الأحمر على السفن المسيحية ، إلى ماوراء ميناء مخا في اليمن ، وظل

ذلك الوضع قائمًا حتى نهاية القرن السابع عشر ، حين سُمح لمراكب شركة الهند الشرقية بالإبحار شمالاً فى البحر الأحمر حتى ميناء جدة ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى انتهاء السيادة العثمانية على اليمن ، وبقيت المنطقة الواقعة إلى الشمال من جدة محرمة على السفن الأوربية .

غير أنه حدث فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، مادفع انجلترا إلى الاهتمام بطريق البحر الأحمر ، وفتحه أمام الملاحة الإنجليزية .

* ففى مصر قام على بك الكبير بحركته المعروف عام ١٧٦٩ ، وقام بفتح الحجاز عام ١٧٧٠ ، وكان لذلك أثره فى الاهتمام بما يجرى فى البحر الأحمر .

* وضوح ضعف الدولة العثمانية سواء فى حربها ضد روسيا أو هزيمتها أمام على بك الكبير فى بداية حركته .

* دخول الصراع بين انجلترا وفرنسا على الهند مرحلته النهائية ، وخروج انجلترا فائزة فى هذا الصراع ، بانتهاء حرب السنوات السبع (١٧٥٧ ـ ١٧٦٣) .

وعلى ذلك ، فقد تمت اتصالات بين على بك الكبير والتجار الإنجليز العاملين فى تجارة البحر الأحمر ، وعلى الرغم من اختفاء على بك الكبير من مسرح السياسة ، بعد أن ثار عليه تابعه محمد بك أبو الدهب ، إلا أن هذه الاتصالات قد استمرت ، وانتهت بعقد اتفاق بين محمد بك أبو الدهب وحاكم البنغال وارن هستنجز عام ١٧٧٥ ، خاص بفتح ميناء السويس للتجارة الإنجليزية ، غير أن مراد بك وإبراهيم بك لم يحترما هذا الاتفاق .

وعلى ذلك فقد فشل مشروع الاتفاق البريطانى ، حين تدخلت الدولة العثمانية لوقف هذه المحاولات لدى حكومة لندن عام ١٧٧٧ ، ثم أصدرت الدولة العثمانية فى عام ١٧٧٩ فرماناً يمنع السفن الأوربية من الاقتراب من ميناء السويس .

وكانت معارضة الدولة العثمانية لهذا المشروع ، تقوم على أساس ثلاثة اعتبارات :

١ ــ معارضة المجتمع التجارى العثمانى فى جدة ، لأنه سيؤدى إلى ازدهار ميناء السويس على حساب ميناء جدة ، وكان هذا المجتمع يستفيد من عدم توغل السفن التجارية شمالاً ، وتصبح جدة هى المركز التجارى الرئيسى فى البحر الأحمر ، بدلاً من ميناء السويس .

٢ ــ أن إحياء طريق السويس البرى سيزيد من قوة المماليك المتمردين على السلطان العثمانى ، لأنه سيؤدى إلى زيادة دخلهم من تجارة العبور ، وبالتالى سيزيد ذلك من قدرتهم على مناوءة الدولة العثمانية .

٣ ــ أن عقد الاتفاقيات التجارية وغيرها من حق الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ، وبالتالى فإن الدولة العثمانية كانت ترى فى مثل هذه المحاولات خروجاً على السيادة العثمانية ، ولذلك فعندما تجددت محاولات الإنجليز والفرنسيين لعقد مثل هذه الاتفاقيات ، أرسلت الدولة العثمانية حملة عسكرية بقيادة القبطان حسن باشا لتأديب المماليك ، ووضع حد لانفرادهم بالسلطة فى مصر ، وكان السبب الرئيسى لإرسال هذه الحملة عام ١٧٦٨ ، هو مسلك المماليك فى عقد المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية ، دون الرجوع إلى السلطان العثمانى ، أو أخذ موافقته ، وكان ذلك يعنى اعتراف الدول الأوربية ــ التى سعت لعقد مثل هذه الاتفاقيات ــ باستقلال المماليك فى مصر .

وهنا نلاحظ أن النشاط الإنجليزى خلال تلك الفترة لم يعد تجاريًا بحتًا ، بل أصبح سياسيًا أيضًا ، ذلك أنه عندما أرسلت انجلترا جورج بلدوين عام ١٧٨٦ ــ وهى السنة التى جاءت فيها الحملة العثمانية إلى مصر ــ لتوقيع

اتفاقية جديدة ، على غرار الاتفاقية التى وقعها الفرنسيون مع مراد بك فى ذلك الوقت ، كان يتبع وزارة الخارجية البريطانية ، وليس شركة الهند الشرقية البريطانية ، وبذلك أصبح النشاط البريطانى ابتداء من عام ١٧٨٥ (تاريخ تعيين بلدوين) سياسيا فى غالبيته فلم يعد النشاط قاصرا على التجار والمغامرين بل تدخلت فيه الحكومة البريطانية ثم اصبح صراعا عسكريا بعد ان ارسلت فرنسا حملتها على مصر عام ١٧٩٨ . هذه الفترة المفصلية من تاريخ مصر الحديث يعالجها هذا الكتاب England & the Syez Routein the Eighteenth Century انجلترا وطريق السويس البرى فى القرن الثامن عشر . والمقصود به طريق البحر الأحمر عبر مصر . والذى نشرته مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٥٧ . والكتاب عبارة عن خمسة فصول من رسالة محمد أنيس التى حصل بها على الدكتوراه من مدرسة التاريخ بجامعة برمنجهام فى مايو عام ١٩٥٠ وعنوانها :

Same Aspects of British interst in Egypt in the Late 18 the Century (1775 - 1798)

والفصول التى اختارها محمد أنيس للنشر تغطى الموضوع الذى اختاره للنشر بشكل متكامل . والذى اختاره المجلس العلمى لمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر واسند ترجمته للزميل الاستاذ الدكتور عبد الوهاب بكر الذى ترجمه باقتدار . والكتاب رغم صغر حجمه فإنه بالغ الأهمية .ويستمد أهميته من حقيقتين :

١ ـ انه جزء من عمل اكاديمى جيد التوثيق فالرسالة والكتاب كلاهما يعتمد على الوثائق البريطانية ومصادر اصلية اخرى .

٢ ـ ان موضوع الكتاب كان ولايزال غير مسبوق فليس هناك كتابات

سابقة على الموضوع ورغم مرور اكثر من نصف قرن على صدور الكتاب فليس هناك كتابات فى المكتبة العربية حتى الآن حول الوضوع .

٣ ـ أما صاحب الدراسة فهو محمد أحمد أنيس[١] فهو مؤسس مدرسة التاريخ الاجتماعى المصرية والذى تتلمذ عليه العديد من الباحثين فى تاريخ مصر الاجتماعى اما بشكل مباشر مثل كاتب هذه السطور أو بالأنتماء لمنهجه محمد أنيس هو أول من طالب بدراسة تاريخ مصر من منظور اقتصادى واجتماعى منذ منتصف الستينات فى المؤتمر الذى عقدته الجمعية المصرية فى أواخر عام ١٩٦٥ تحت عنوان اعادة كتابة التاريخ القومى . وهو المنهج الذى اتبعه فى كفاية التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، والذى صدر فى البداية فى شكل مقالات فى مجلة الكاتب عام ١٩٦٦ ثم صدر عن دار النهضة العربية عام ١٩٦٨ .

بعد هذا ارجو أن يجد القارئ فى هذا الكتاب مايفيد .

علي بركات
أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب
جامعة حلوان

(١) ولد محمد أحمد أنيس فى ١٨ أغسطس ١٩٢١ وحصل على ليسانس الآداب من جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) ١٩٤٣ ، ثم سافر فى بعثة إلى بريطانيا حيث حصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ الحديث عام ١٩٥٠ وعاد إلى القاهرة ليعين مدرسا للتاريخ الحديث بجامعة القاهرة فى نفس العام .

تقديم

هذه فصول خمسة من دراسة باللغة الانجليزية كان قد أعدها المرحوم الأستاذ الدكتور/ محمد أنيس للحصول على درجة الدكتوراه من المملكة المتحدة فى الخمسينيات من القرن العشرين . وقد اختار المرحوم أنيس هذه الفصول لكونها تشكل وحدة موضوعية من دراسته الأصلية . والفصول التى تتضمنها هذه الدراسة الجزئية تعالج قضية (إعادة فتح طريق البحر الأحمر) لبيوت التجارة الأوروبية فى الهند بالمخالفة لقرار الحظر العثمانى القديم والراسخ ضد الملاحة الأوروبية شمال (جدة) . كانت حركة التجارة الأوروبية فى البحر الأحمر قد تقلصت إلى درجة كبيرة مع منتصف القرن الثامن عشر . وقلت حركة التجارة الأوروبية فى هذا الطريق لدرجة أن التجار البريطانيين فى الهند الذين حققوا ارباحا هائلة منه فى السابق . . . كانوا يسيرون فى طريق الإفلاس .

كانت العقبات فى وجه إحياء حركة التجارة الأوروبية كبيرة . قد قاومت الإمبراطورية العثمانية وعارضت تلك التجارة فى الأجزاء الشمالية من البحر الأحمر من منطلق الإدراك التام بما آل اليه حال الإمبراطوريات الآسيوية التى سمحت للأوروبيين بانشاء مراكز تجارية فى أراضيها . فقد استسلمت هذه الامبراطوريات لتفوق أوروبا العسكرى فيما بعد . لهذا فإن الإمبراطورية العثمانية ظلت متمسكة بمبدأ منع مد الأوروبيين لنشاطهم التجارى والبحرى الى الشمال من جدة .

ومع ذلك فإن بعض التجار الإنجليز فى البنغال ـ والتجار الفرنسيين والبنادقة فى مصر كانوا تواقين الى اختراق طريق البحر الأحمر المربح برغم المخاطر التى كانت تحيط بهم على طول الطريق .

كانت حكومات الدول المعنية (انجلترا وفرنسا تحديدا) ضد أى نشاط تجارى من جانب رعاياها فى المنطقة المحظورة . وكانت اعتراضات هذه الحكومات مؤسسة على اعتبارات سياسية أكثر منها اقتصادية . كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية تشعران بأن أى منافع اقتصادية يحصل عليها من وراء فتح طريق البحر الأحمر ستفوقها المخاطر السياسية التى قد تنتج عن هذا النشاط . ورغم أن الدول الأوروبية كانت واقعة - إلى حد ما - تحت إغراء دعم جهود رعاياها التجار للإفادة من ميناء السويس إلا أنها أحست أن المخاطر كانت تفوق المكاسب . فالإنجليز على وجه التحديد كانوا يرون أن الرد الإنتقامى ضد تجارهم فى أجزاء أخرى من الامبراطورية العثمانية سيكون أكبر بكثير من مجرد إرضاء حفنة من التجار فى البنغال . وكان ذلك نفس شعور الفرنسيين ، الذين أثنوا تجارهم فى مصر عن إثارة مشاعر السلطات العثمانية فى القسطنطينية .

رغم ان انجلترا وفرنسا كانتا مشتبكتين فى صراع عالمى للسيطرة على أعالى البحار فى أغلب سنوات القرن الثامن عشر ، فإن سياستهما نحو اغلاق البحر الأحمر أمام الملاحة الأوروبية ، والتكامل الإقليمى للإمبراطورية العثمانية قد توافقت بصورة لافتة . وكانتا مترددتين فى دعم (البكوات المماليك) المستقلين فى مصر مثل (على بك ١٧٦٩ - ١٧٧٢) و(محمد بك أبو الذهب ١٧٧٢ - ١٧٧٥) خشية اضعاف الحكومة المركزية فى استانبول .

ورغم أن الأجانب كانوا متمتعين بحماية الامتيازات الممنوحة لمجتمعاتهم من قبل الحكومة العثمانية ، إلا أن الحكام المحليين (البكوات المماليك) كانوا كثيرا مايتجاهلون هذه الحقوق . وكان الملاذ الوحيد للأوروبيين فى هذه الحالة هو الاحتجاج لدى الحكومة المركزية فاقدة السيطرة

فى (استانبول) على أمل الحصول على (فرمان) أو التهديد باستعمال القوة مايخفف من متاعبهم ، وإما الدخول فى ترتيبات خاصة مع (المستبدين) المحليين رغم مايسببه هذا المسلك الأخير من غضب الحكومة المركزية .

ورغم هذا فقد ابرمت اتفاقية رسمية فى عام ١٧٧٣ بين محمد بك الذهب وچيمس بروس James Bruce وصلت السفن البريطانية بمقتضاها الى السويس فى عام ١٧٧٥ . وفيما بعد وقع (محمد بك) و(مراد بك) من بعده معاهدات مع الشركات الأوروبية لجذب تجاراتها عبر موانى السويس والإسكندرية (انظر المعاهدة التى عقدها جيمس بروس مع محمد ابو الذهب لمصلحة شركة الهند الشرقية الانجليزية فى فبراير ١٧٧٣) .

فى مجال المفاضلة بين طرق المواصلات فى القرن الثامن عشر كان هناك ثلاثة طرق رئيسية للتجارة :

- الممر عبر الخليج الفارسى ثم الطريق البرى من البصرة عبر حلب الى موانى البحر المتوسط .

- الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح الى الموانى الأوروبية حيث يجرى إعادة تحميل البضائع للتوزيع فى منطقة البحر المتوسط .

- الطريق عبر البحر الأحمر .

فأما الثانى فإنه رغم عدم تحمل مستخدميه رسوما اضافية إلا أن طوله الزائد كان يسبب مشكلة لوچستية ، وأما الأول فقد هددت الحروب الفارسية التركية واحتلال البصرة وبغدا من جانب الفارسيين طرق التجارة الأوروبية على طوله .

لذلك فان طريق البحر الأحمر كان هو المفضل لدى متعاطى التجارة الهندية إلى اوروبا فى القرن الثامن عشر باعتباره اقصر الطرق بين اوروبا والهند .

لم تنه حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣) ولا الصلح الذى انعقد فى باريس فى ١٠ فبراير ١٧٦٣ ، لم تنهيا الصراع على التفوق البحرى والاستعمارى بين انجلترا وفرنسا رغم ان فرنسا خسرت امبراطوريتها فيما وراء البحار (كندا والممتلكات الفرنسية فى الهند) ، وكسبت انجلترا اعترافا بانتصاراتها وفتوحاتها فى الهند وشمال أمريكا وسجلت ظهورها كواحدة من أقوى الدول الاستعمارية فى العالم .

على خلفية ما سبق تشرح فصول الدكتور أنيس الخمسة التى تحف بصددها فصلا من فصول الصراع بين الدولتين مسرحه القاهرة ببكواتها المتآمرين والمنشقين على الدولة الأم (الإمبراطورية العثمانية) ، ودور الشركات التجارية الكبرى بقناصلها ووكلائها فى مناطق الأحداث (الهند ـ البنغال ـ القاهرة ـ السويس) ، وأعمال البعثات السياسية والسفراء والقناصل فى مجال محاولات الفوز بموافقة الباب العالى على فتح طريق البحر الأحمر التجارى شمال ميناء جدة ، واتجاه بنص الدول ذات الفكر العملى إلى حل مشاكل التجارة الخاصةبها مع القوى المتنفدة فى المنطقة (المماليك فى مصر) و(امراء الهند المستقلين) دون ما اعتبار لعلاقات السيادة التى للباب العالى على هذه القوى ، وأعمال المغامرين المتقمصين شخصيات القناصل فى هذا المجال أيضا .

وفى هذا الإطار فان الدكتور أنيس يسلط الأضواء على نماذج من شخصيات الفترة موضوع الدراسة (١٧٧٥ ــ ١٧٩٨) امثال (چورچ بالدوين) القنصل والتاجر والمغامر الانجليزى ، ولورد اينسلى السفير البريطانى فى القسطنطينية ، وغيرهما .

استعان الدكتور أنيس فى دراسته الممتعة بوثائق الخارجية البريطانية F.o ووزارة الحرب البريطانية W.o وحكومة الهند I.o ، ومضابط جلسات مجلس

النواب البريطانى House of Commons reports واوراق شاتهام ، وسبنسر . كما استعان بأعمال عامة ودراسات عن مواضيع معينة باللغة الانجليزية والفرنسية ، وبالمذكرات وأوراق الرحالة والتراجم ، وبالدوريات الانجليزية .

وقد زود المؤلف دراسته بمجموعة من الملاحق التى تفيد فى فهم الدراسة .رأيت أن تظل كملاحق للدراسة فى لغتها الأصلية ، الدراسة ممتعة وجديرة بالترجمة إلى العربية ، وقد استفدت كثيرا منها عندما قمت بترجمتها والتعليق عليها . وحسنا فعلت سلسلة مصر النهضة عندما رأت نشر هذه الدراسة المفيدة .

والله من وراء القصد ،

دكتور/ عبد الوهاب بكر
مصر الجديدة ـ شتاء ٢٠٠٨

الفصل الأول

(الاقتراب الليڤانتى البريطانى الى مصر)

عندما قامت الثورة التجارية فى انجلترا فى القرن السادس عشر شرع الإنجليز فى الاتجاه نحو الساحل الأوروبى وفى البحر المتوسط حيث لم يعبروا كثير اهتمام للفرنسيين والبنادقة الذين كانوا على الساحة بالفعل . لم يكن الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح قد اختبر فى ذلك الوقت بسبب المخاطر العديدة الناجمة عن القوى الطبيعية والأساطيل الاسبانية والبرتغالية (هيسبانيك) . وحتى بداية القرن السادس عشر ، كانت جمهورية البندقية هى همزة الوصل بين انجلترا والتجارة الشرقية . لكن تدهور هذه الجمهورية فى نهاية القرن السادس عشر كان له آثاره على فروعها التجارية النائية ، والتى كان من بينها العلاقة القديمة مع انجلترا ، وبعد سنة ١٥٣٢ توقف الأسطول البندقى عن زياراته البريطانية . عندئذ بدأ الإنجليز يشقون طريقهم إلى البحر المتوسط للبحث عن السلع الشرقية .

وبصرف النظر عن المحاولات المبكرة لإقامة تجارة مباشرة مع الليڤانت(*) ، فإن العلاقات الأولى الجدية مع الإمبراطورية العثمانية جاءت فى سنة ١٥٨٠ عندما نجح (إدوارد اوزبورن) Edward Osborne التاجر اللندنى الكبير فى الحصول على امتياز من (٢٢) مادة يحدد الحريات الممنوحة للرعايا الإنجليز الذين يتاجرون فى الأراضى العثمانية[1] . فى العام التالى انشئت شركة الليڤانت من أحد عشر عضوا واحتكرت بشكل مطلق التجارة مع تركيا . وفى نهاية عام ١٥٨٢ اختير (هاربورن)Harborne كسفير إنجليزى لدى الباب العالى[2] .

(*) تعبير يقصد به شرق المتوسط .

(1) Hukluyt, V.pp. 163 -9.
(2) Wood, A. (History of the levant Company) pp.,5 -13.

كان الاختراق الإنجليزى فى الليڤانت فى نهايات العهد الإليزابيثى(نسبة الى الملكة اليزابيث) يحدد البدايات الأولى للإهتمام البريطانى بمصر. كانت مصر بسبب موقعها الجغرافى عند أضيق وصلة بين البحرين الأحمر والمتوسط، واحدة من أعظم الأنابيب التى تصل عبرها منتجات الشرق إلى أوروبا، وبرغم ان اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتطوره قد أثر بشكل خطير على الطريق المصرى، فإنه صحيح - مع ذلك - أن الحرير والتوابل والأصباغ والأدوية الشرقية، والبن العربى، كانت كلها لاتزال تحضر الى البحر الأحمر بواسطة التجار العرب ثم تنقل عبر الصحراء إلى القاهرة والإسكندرية، ومن أجل هذه التجارة اتجه الإنجليز نحو مصر. فى سنة ١٥٨٣ عين (هارفى ميلرز)Harvey Millers قنصلا بريطانيا فى مصر[٣]. وفى نفس السنة ظهرت أول إشارة إلى بداية التجارة البريطانية مع مصر عندما ارسلت السفن الى الإسكندرية لتبادل القصدير، الرصاص والكرزى (قماش صوفى خشن) بالأدوية والتوابل[٤]. وقد قدمت لملاحظات (هاكليوت)[٥]Hakluyt التى عملت حوالى ذلك الوقت معلومات مهمة عن التجارة فى ذلك الميناء، كما خدمت أيضا لتبين الإهتمام الذى كان قد بدأ يظهر فى انجلترا فى التجارة. وقد ذكرت السفن الانجليزية فى الاسكندرية فى (ملاحظات) سنتى ١٥٨٦ و ١٥٨٧[٦]. كان الفلفل الأسود يشترى فى القاهرة بواسطة الوكلاء الإنجليز، وقد وجد (الدرسى)Aldersey بعضا من مواطنيه يعيشون هناك[٧]. وفى سنة ١٦٠١ أرسل (ستابر)Staper سفينة خاصة به إلى مصر.

(3) Ibid.,p.15.
(4) Cal. S.p. Spanish,1580.6,p.,433.
(5) Hakluyt, v.,pp..272 - 4.
(6) Cal. S.p. Venetian 1581 -91,p.204; H.M.C Salisbury, III,p.279 .
(7) Hakluyt, V1,p.45.

تضمنت الصادرات البريطانية إلى مصر الملابس الصوفية فى المقام الأول . ومن بداية العلاقات التجارية مع مصر ، لم يكن متصورا حدوث نوع من الأزدهار لهذه الأصناف . ومن الغريب حقا ان تضمن البعثة الانجليزية برأسة (ساندرسون)[٨] Sanderson والتى أرسلت الى مصر فى سنة ١٥٨٦ لتحرى الأحوال والإمكانيات للتجارة البريطانية فى مصر ، أن تضمن فى تقاريرها آمالا جيدة للتعريف المربح للملابس الصوفية . فأولا كانت غالبية سكان مصر لاتستطيع أثمان هذه البضاعة مرتفعة الثمن . ثانيا فان الاحتمالات كانت ضئيلة لسلعة كهذه أن تجد لها مكانا فى مناخ دافىء مثل مصر . ولقد تنبأ سائح بريطانى فى داهية (سانديز) Sandys[٩] الذى زار مصر سنة ١٦١٠ بفشل هذا السوق عندما علق قائلا(ان فكر البريطانيين مريض فى أن يعتقدوا بإمكان تصريف ملابسهم الدافئة فى هذه البلاد الحارة الى درجة اننى اعتقد انهم سوف يتركون سفنهم لتتعفن فى النهر على الإستمرار فى هذه التجارة فترة أخرى[١٠] .

وفوق هذا ، فان التجار البريطانيين غير المعتادين على اساليب التجارة الليڤانتية ، قد وجدوا أن السوق المصرية مخادعة . ذلك ان التجار العرب فى مصر كانوا يحصلون على المعلومات مسبقا من (جدة) عن الجودة والكميات من البضائع ، بنتيجة مؤداها انه لدى وصول السفن الأوروبية إلى الاسكندرية ، فإنهم كانوا يرفعون بدون إبطاء أسعار البضائع الشرقية ، وكان على هذه السفن أن تنتظر لبضع شهور حتى ينخفض السعر[١١] . ولم يكن (البكوات) الحاكمون أقل جشعا(من التجار) فى تعاملهم مع الفرنجه . ولقد كانت سيادة الباب

---

(8) Sanderson, Travels of 1584 - 1602 ,p.,214 .
(9) Ibid,pp.131.6.
(10) Sandys, G. Travels, London 1637,p. 122 .
(11) Sanderson,PP. 131 -6.

العالى فى هذا البلد إسمية فقط ، ولم تحترم تعهداتها واتفاقاتها مع الدول الأوروبية من جانب هؤلاء البكوات . لذلك لم يكن متغربا أن لايهتم البكوات (بالامتيازات) الممنوحة للأوروبيين ، وأن يفرضوا ضرائب باهظة على التجار . وفى الإسكندرية كانت الرسوم ١٠٪ بالمخالفة للمنصوص عليه فى (الامتيازات) والتى حددت ٣٪ فقط[١٢] .

فوق كل شىء ، كان الحافز الأساسى الذى حث التجار الإنجليز على الحضور إلى مصر ، الرغبة فى الحصول على البضائع الثمينة ، هذا الحافز كان آخذا فى الاختفاء تدريجيا مع بداية القرن السابع عشر . كانت الشركات الهولندية وشركات الهند الشرقية الإنجليزية قد بدأت فى صب هذه البضائع فى أوروبا باسعار منخفضة لدرجة أن شركة الليفانت وجدت أن من المفيد لها أن تعيد تصدير هذه المواد من انجلترا إلى تركيا وبيعها بعد الرحلة المزدوجة ، بأسعار أرخص من أسعار السلع المماثلة التى تكون قد جاءت إلى الليفانت عن طريق طرق التجارة القديمة[١٣] .

ولهذا العامل أهمية كبيرة ، لأنه يكمن فيه الحافز الرئيسى لمعارضة الشركة لمحاولات فتح الطريق البرى عبر مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر[١٤] . وعلى ذلك فإنه ليس من قبيل المفاجاءة أن شركة الليفانت تفصل قنصلها (بنجامين بيشوب) Benjami Bishob فى سنة ١٦٠١ وترفض تعيين بديلا له[١٥] . لكن قرار الشركة أو بالأحرى قطع التجارة المباشرة بين انجلترا ومصر لم يعن انسحاب التجار البريطانيين من هذه البلاد . ففى التجارة المحلية بين الأسكندرية وموانى الليفانت الأخرى ، كان لهم دور فعال . لقد صدرت مصر كميات كبيرة من الكتان والملابس الكتانية والجلود الحيوانية

---

(12) Ibid .

(13) Ibid .

(١٤) انظر الفصول ٢ ، ٣ ، ٤ .

(15) Wood,p. 75 et seq.

والأرز إلى ايطاليا ، واليونان وسوريا ، والذرة إلى القسطنطينية ، وفى هذا الإطار (التجارة المحلية) كان للتجار البريطانيين فى مصر دور كبير . وهكذا فانه فى سنة ١٦٠٢ نقلت السفينة (انجل) Angel من لندن الملابس ، القصدير ، الرصاص ليباع فى الجزائر ، تونس ، والإسكندرية ، وفى الميناء الأخير كلف قبطان السفينة أن يحاول الحصول على شحنة من الجلود الى ليچهورن[١٦] . وفى السنة التاليةجاء ذكر سفينة انجليزية من الاسكندرية كانت تبيع التوابل فى (مودون)[١٧] . ومرة أخرى كانت هناك سفينة فى سنة ١٦٢٣ تتاجر بين الإسكندرية والبندقية[١٨] . بينما سافر (دارڤيو) d'Arvieux من أزمير إلى مصر فى سنة ١٦٥٧ على سفينة انجليزية مشحونة بمعرفة بعض التجار الأتراك لحمل بضائع وعبيد إلى مصر[١٩] .

كان السفراء البريطانيون الى القسطنطينية واعين لأهمية تعيين قنصل فى مصر . وطالما كان هناك تجار بريطانيون فى مصر فإن حمايتهم بواسطة القنصل أمرا لامحيص عنه . كلف سيد (توماس بنديش) Sir Thomas Bendysh ، السفير البريطانى دون إذن من لندن رجلا فى سنة ١٦٥٧ ليعمل كقنصل انجليزى فى مصر[٢٠] . ويبدو أن إبن الرجل كانت له مصالح فى مصر وكان يعمل كقنصل لسنوات قليلة فيما بعد . لكن الشركة رفضت الأعتراف بهذا التعيين .

أكد قرار من الشركة فى سنة ١٦٦٣ تصميمها على عدم الدخول فى التزامات فى مصر «هناك فى القاهرة شخص بعمل تحت مسمى قنصل» ورغم «ان الشركة لم تسمح أبدا لهذا الشخص بالعمل» ولما كان وجوده يمكن أن

(16) Cal. S.p. Ventain, 1603 - 7. p.,92.
(17) Ibid, 1592 - 1603. p.,518 .
(18) Ibid, 1623 - 5. p.,125 .
(19) Arvieux, Laurent D., Memoirs 1653 - 79, Paris 1735, Vol. I., p. 148
(20) S.p. 105, 151, Sept. 22, 1658 and Thevenor, II.p 806.

يشكل «نتائج خطيرة» ، فقد تقرر إنكار شرعيته[٢١] ، وفى سنة ١٦٦٤ ابلغ القنصل فى مصر بقرار الشركة . وفى الحقيقة ، فإن(سير توماس بنديش) نفسه ، عندما استدعى من القسطنطينية بمعرفة (شارلز الثانى) بعد إعادة الملكية (Restoration)[٢٢]طلب أن يعين قنصلا فى القاهرة ، معتقدا أنه قد يستطيع تأسيس شركة هناك بنتائج طيبة . لكن الشركة رفضت التصديق على الفكرة[٢٣] .

فى ١٦٦٨منع (سير دانيل هارفى) Sir Daniel Harvey السفير البريطانى من محاولة تطوير التجارة مع مصر بحجة أنها ذات أهمية قليلة للإنجليز وأن التوازن ليس ملائما لسفننا أو لتصريف بضائعنا الوطنية ، ولكن (على العكس) فهو عرضة للابتزازات (avanis)والأعمال المزعجة ، والتى مهما كانت المناسبة ، ستقع فى النهاية على الشركة[٢٤] وكتبت الشركة إلى(لورد شاندوس)Lord Chandos نحن نرغب من فخامتكم أن تثبط ولاتشجع التجارة الى الاسكندرية بقدر ماتستطيع ، ونحن نفتقد أن هؤلاء المهتمين بهذه التجارة لايستحقون أى اهتمام من جانبك[٢٥] ، كما ابلغ السير (ويليام ترابيل)Sir William Trumbul فى سنة ١٦٦٨ من المثير للمشاكل لنا أن كثيرا من السفن متوسطة فى التجارة الخطيرة مع الإسكندرية[٢٦] . ويوضح هذا الخطاب أن عملية التجارة مع مصر كانت تنمو رغم المعارضة الرسمية . كتبت الشركة التى أربكها هذا الى (لورد شاندوس) فى سنة ١٦٨٦ ، وحتى لو أمطرت ذهبا فإننا لاينبغى أن نفكر أن الأمر يستحق الذهاب والبحث عنه فى الاسكندرية[٢٧] . وسواء تحت الضغط

---

(21) S.p. 105, 152, Sept. 15, and 16,1663.

(٢٢) تعنى كلمة Restoration احياء الملكية فى انجلترا عام ١٦٦٠ عندما رقى الملك شارلز الى العرش ، كما تعنى عهد هذا الملك شارلز الثانى (١٦٦٠ - ١٦٨٥) ، وتعنى احيانا عهد الملك جيمس الثانى (١٦٨٥ - ١٦٨٨)- المترجم .

(23) S.p. 105, 112, Company to winchilsea, oct. 21,1661.

(24) S.p. 105, 152, Dec/4,1668.

(25) S.p. 105, 114,p.345.

(26) H.M.C Downshire, I.,p.295.

(27) S.p. 105.152,Companyto Chandos, Aug.14,1686.

المتوالى للقناصل المتعاقبين فى القسطنطينية والتجار فى مصر ، أو مقتنعة فى النهاية بعدم ملائمة ترك الأمور الخاصة بالتجار البريطانيين فى يد القنصل الفرنسى فى وقت كانت الدولتان فيه فى حالة حرب ، فان (شركة الليڤانت) مع نهاية القرن السابع عشر بذلت محاولتها الثانية لإقامة تجارة مع القاهرة . فى سنة ١٦٩٧ عين (مايلزفليت وود) Miles Fleetwood قنصلا هناك(٢٨) ، وفى سنة ١٧٠٠ عين نائب قنصل فى الاسكندرية(٢٩) . وتشير كل الدلائل الى تجارة بريطانية مطردة فى مصر حتى منتصف القرن الثامن عشر . وفى سنة ١٧٤٧ كان هناك تسعة تجار فى القاهرة(٣٠) . وتثبت الأرقام التالية التى تشير الى عدد السفن التجارية البريطانية فى الليڤانت مابين سنة ١٧٣٣ - ١٧٣٦ أن التجارة الانجليزية مع الاسكندرية لم تكن مهملة(٣١) .

السنوات	عدد السفن التى دفعت عنها الضرائب	ميناء الأصل
١٧٣٣	٩	٧ من أزمير ـ ٢ من الإسكندرية
١٧٣٤	١٠	٦من سفيمنا ـ ١ من الإسكندرية ٣ من الإسكندرون
١٧٣٥	٧	٣ من الإسكندرون ـ ٣ من الإسكندرية ١ من ازمير
١٧٣٦	١٥	١٠ من أزمير ـ ٣ من عكا ١ من الاسكندرية ـ ١ من قبرص

(28) S.p. 115.114.pp. 331,406-7.
(29) S.p. 105.115,Company to Pager, May1700.
(30) S.p. 105.118,Company to Porter, May12,1757.
(31) Wood, p, 158 .

وفوق هذا ، فقد كان هناك خط غير مقطوع من القناصل البريطانيين فى مصر حتى سنة ١٧٥٤[٣٢] . فى البداية كان البن فيما يبدو هو السلعة الأساسية التى تأتى من الاسكندرية ، لكن القطن حل محله من سنة ١٧٣٥ فصاعدا ، وكذلك الصوف ، السفامكى ، الصمغ العربى وملح النشادر[٣٣] .

فشلت المحاولة الثانية للشركة للتجارة مع القاهرة . فالأحوال السياسية فى مصر لم تكن مستقرة ابدا ، وسلطة السلطان فى أماكن كثيرة من الإمبراطورية العثمانية كانت قد تراخت . ومع قتال البكوات على السلطة وانقسامهم الى طوائف ، فإن التجارة آلت إلى الإنهيار . وفرض البكوات المماليك فصار النظر ، الجهلة وغير المهتمين سوى فى الحصول على الذهب حيثما يوجد ، فرضوا (اعباء) باهظة على التجار الفرنجة . فى سنة ١٦٨٢ اجتمع السفراء بالقسطنطينية على الشكوى للسلطان ضد «الأعباء غير المحتملة» المفروضة على رعاياهم فى القاهرة وهددوا باعتزال التجارة معها[٣٤] . وفى سنة ١٦٦١ كتب (وينشلسى) Winchelsea إلى الباشا فى مصر يطلب الحماية من الدمار الذى أصاب التجار الانجليز الذين تعرضوا للقمع الشديد من جانب أسلافه[٣٥] . وفى احدى السنوات ، شاهد (ثيڤينوت)Thevenot القنصل الفرنسى يسلب من ٨٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠ قرش ، كما شاهده والقنصل الانجليزى يسجنان دون عدالة[٣٦] . وسلوك (إبراهيم بك) حاكم القاهرة الذى

(٣٢) الملحق 1.

(٣٣) تشير سجلات الشركة (S.p.105,168,169) ان الرسوم كانت تدفع سنويا على سفينة واحدة على الأقل تتاجر مع الاسكندرية . ثم فرضت فى ١٧٣٣ على سفينتان ، وفى سنة ١٧٣٥ فرضت على ثلاثة سفن .

(34) Cal. s.p. Venetian, 1621 - 27.p.243.

(35) H.M.C. Finch, I,pp. 161 - 2.

(36) Ibid, II,pp. 808 - 811.

طرد القنصل الإنجليزى من بيته وانتزع منه كميات من النقود بالعنف ، كان تصويرا مطابقا للمصاعب التى كان على التجار أن يقاوموها .

وفوق هذا ، فإن التجارة الانجليزية لم تستطع أن تصمد أمام المنافسة الفرنسية التى امتلكت وضعا قويا للغاية فى البلاد يصل الى مستوى الإحتكار . فى القاهرة وحدها كان هناك فى سنة ١٧٠٢ خمسون تاجرا فرنسيا ، وكانت هناك مستوطنات فرنسية فى كل من الاسكندرية ورشيد . وفى نفس الوقت كان الوجود الانجليزى لايعدو انجليزيان يعيشان فى القاهرة ، وواحد فى الإسكندرية[٣٧] . وبينما كان البكوات قادرين على تحمل ارتداء الملابس الانجليزية وشراء الأسلحة الانجليزية والساعات ، فان الفلاحين كانوا قادرين فقط على شراء البضائع الخفيفة والمتينة التى توفرها فرنسا ، ايطاليا ، والمانيا[٣٨] . فى بلد كمصر ، حيث وضعت الطبقة الحاكمة طبقة الفلاحين عند حد الجوع ، فان البضائع الترفية البريطانية لم يكن لها مخرج . ومع هذا ففى الأساس ، كان انهيار التجارة البريطانية فى مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، مظهرا من مظاهر انهيارها العام فى الليفانت . وبينما كانت الصادرات البريطانية الى تركيا فى ١٧٨٠ ـ١٧٩٠ تصل الى ١٠٣,٠٠٠ جنيه[٣٩] .

كان لفرنسا فى أواخر الثامن عشر ما يقابل ١٨ ـ ١٩ مليون جنيه[٤٠] . «الملاحة الفرنسية الأرخص ، أفضليتهم فى الأقمشة ، بضائعهم المقصورة

(37) Massan, p., Histoire du Commerce Francais dans le levant au 17 siede paris 1896, p. 402 .
(38) Hamilton. W., Aegypriaca, p. 342.
(39) Russell, I., The later history of the levant Company 1753 -1825. (Thesis), p.11.
(40) Comte de Saint - priest, Memoire sur l'Ambassa de en Turquie, P.327

على العمائم ذات القماش الأحمر ، إلخ . تقابل تماما أسباب الإنهيار فى شركاتنا فى أزير والقسطنطينية كما فى حلب»[٤١] . ويبقى المنظور السائد عند المؤرخين من أن السبب الرئيسى لفشل التجارة البريطانية فى الليفانت هو المنافسة الفرنسية محل تساؤل . فماذا استفاد به التجار البريطانيون من سقوط فرنسا عندما أثرت المشاكل الداخلية فى هذا البلد سنة ١٧٩٠ بخطورة على علاقاتها التجارية لاشىء . ففى السنة التالية انسحب التجار البريطانيون من حلب « أغنى وأبعد مستعمرة انجليزية فى الليفانت»[٤٢] . والحقيقة أن سقوط الشركة كان راجع أساسا الى طبيعتها الجوهرية الإحتكارية والقوة الشرائية الضعيفة للمتلكات العثمانية نظرا لمستوياتها الاقتصادية المنخفضة .

انتهت شركة الليفانت فى سنة ١٧٥٤ إلى الغاء قنصليتها فى القاهرة نظرا لعدم التأكد من نجاحها والتأكد من المصاريف الكبيرة والمتنامية لها كل سنة[٤٣] ، وتم نقل سجلات القنصلية الى قبرص . وبالتبعية فان (ريتشارد هاريس) Richard Harris القنصل فى مصر وضع المصالح الانجليزية تحت حماية زميله الهولندى وانسحب مبكرا فى سنة ١٧٥٧[٤٤] . وهكذا فان المحاولة الثانية لتعزيز العلاقات التجارية مع مصر فشلت .

ومع هذا ، فإن الوقت كان يقترب بسرعة من استعادة المصالح الانجليزية فى مصر اهميتها الحيوية أكثر مما تصورته شركة الليفانت ، لأنه كلما تطور القرن اصبحت العوامل فى كل من مصر والهند اكثر وضوحا وتسببت اعادة توجيه المصالح البريطانية فى مصر بصورة أفضل ، ووضع الهند ، تسبب هذا كله فى اكتساب بلاد الفراعنة اهمية كبيرة .

(41) Rusell, p.12.
(42) Abbot G., Turkey and the Great Powers, London 1916, p.122.
(43) S.p. 105. 118, Company to Porter, sept. 17,1745 .
(44) Ibid, May 12, 1757 .

فى الفصول القادمة ستجرى محاولات لدراسة اعادة التوجه للمصالح البريطانية فى تلك البلاد . اما بالنسبة لشركة الليڤانت فإن قرارها فى سنة ١٧٥٤ بإغلاق قنصليتها فى القاهرة لم يمنع بعض التجار البريطانيين من البقاء هناك والمشاركة فى التجارة الليڤانتية المحلية . وقد أصدر (موراى) Murray السفير البريطانى فى القسطنطينية رخصة فى سنة ١٧٦٧ للمدعو مستر (ماريون)Mario [45] للعمل كنائب قنصل فى القاهرة . وفى سنة ١٧٧٣ عين أيضا اليونانى (قونستانتين ماكرى) Constantine Macri كوكيل انجليزى فى الاسكندرية[46] .تنصلت الشركة من كل مسئولياتها ورفضت بثبات إحياء قنصليتها السابقة فى القاهرة[47] . ورغم انه من المحتمل ان تكون التجارة البريطانية الليڤانتية فى مصر قد تأثرت بظهور الأسطول الروسى فى البحر المتوسط وثورة (على بك) ، فإنها مع ذلك أحُييت عندما عادت الأمور الى طبيعتها فى الليڤانت .

وبالرغم من المعارضة الرسمية لتشجيع العلاقات مع مصر ، فان التجارة البريطانية مع مصر كانت محل تقدير فى مقامات أخرى . وفى سنة ١٧٧٢ قدم (ادوارد ورتلى مونتاج) Edward Wortley Montague الذى كان عارفا بالأحوال فى الليڤانت مشروعا الى (د . هايز) D. Hays القنصل البريطانى فى حلب كان الهدف منه هو حل مشكلة شراء الحرير من سوريا[48] . إذ لما كان تصدير السبائك

(45) S.p. 105. 119, Company to Murray, July. 31,1767 .
(46) S.p. 105. 112, Company to Murray, Aug. 17,1773 .
(47) Ibid .
(48) S.p. 110. 42,pp. 82-3. D. Mays to Cazalet and Cooke, 8 Sept.1772 and 20 Nov. 1772, p. 134 .

والحواشى الذهبية الى الليفانت ممنوعا ، ولما كانت الاقمشة الصوفية البريطانية تفى بديون الحرير السورى ، فقد اقترح (مونتاج) (فى مشروعه) انشاء سوق فى مصر للأقمشة الصوفية والدفع بالسبائك الذهبية للحرير السورى . ولم يقيض للمشروع النجاح واستمرت العلاقات التجارية بين الشركة ومصر فى تدهور . وفى نهاية القرن الثامن عشر لم تصل الى الإسكندرية من بريطانيا إلاسفينة واحدة سنويا[٤٩] . وفى سنة ١٨٠٠ لم يكن حتى معروفا لبعض التجار الانجليز ما إذا كانت مصر تقع فى نطاق امتياز شركة الليفانت[٥٠] .

(49) Russell, p.15.
(50) Ibid. p. 4.

الفصل الثانى

العامل الهندى : إعادة توجيه المصالح البريطانية

أصبحت شركة الليفانت ، بعد فشلها فى تشجيع العلاقات المصرية ــ الإنجليزية ،حاجزا بين مصر وبريطانيا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

وما بين المحاولة الاخيرة(١٧٥٩) لتجديد العلاقات التجارية مع مصر ، وسنة ١٧٦٩ ، كانت المصالح البريطانية فى هذه البلاد فى أدنى مدلها . لكن تطور الأحداث فى كل من مصر والهند فى السبعينيات تضمنت الحافز الرئيسى للمصالح السياسية البريطانية فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ؛ كان هذا هو مايمكن أن يسمى (بالعامل الهندى) . كان هناك مظهران لهذا التوجه الجديد . كان أولهما هو التجارة البريطانية ـ الهندية مع مصر ، وكان الأخر هو استخدام الطريق البرى عبر مصر للمواصلات بين مصر والهند . بالجملة ، كانت هذه المصالح تحت رعاية موظفى شركة الهند الشرقية والتجار الأحرار . وفى أحسن الأحوال فإن هذا الاهتمام لم ينجح سواء فى الاستمرار بجدية ولا فى إقناع السياسة الخارجية البريطانية بأهمية القضية كلها . وفى الحقيقة فان هذا الاهتمام كان ينجذب نحو الأهمية الجغرافية لمصر بالنسبة للإمبراطورية البريطانية فى الهند . لم تكتشف الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ــ ١٨٠١) هذه الأهمية ولكنها ضاعفت من دلالتها .

ويجب أن يلاحظ فى المقام الأول أن بريطانيا وليست فرنسا هى التى اتخذت المبادرة فى هذا الإتجاه . وفى المقام الثانى كانت بريطانيا مرة أخرى هى التى اتخذت زمام المبادرة فى الاقتراب من مصر مستقلة ، غير عابئة بالسيادة العثمانية .

فى البداية جاءت الى الوجود قضية التجارة البريطانية ـ الهندية مع مصر، وانتجت اتفاقية (هاستنجز ـ ابو الذهب) التجارية فى سنة ١٧٧٥، وفى أعقابها جاءت قضية المواصلات بين انجلترا والهند عبر مصر، حيث اعتمد النجاح أو الفضل من وجهة النظر الفنية، كلية على التجارة الهندية مع مصر. كان نمو الإهتمام الفرنسى الذى نجم عنه معاهدة سنة ١٧٨٤ بين فرنسا والبكوات الحاكمين فى مصر، وكان قمة التنافس الدولى بين انجلترا، فرنسا والنمسا. هدف الحافز عند مجموعة من الموظفين بشركة الهند الشرقية والتجار الأحرار فى هذه المنافسة الى تأسيس المصالح البريطانية فى مصر على شكل منتظم. وعلى عكس منظور هؤلاء فى هذه المنافسة الدولية كان اتجاه وزارة الخارجية البريطانية. خلال هذه الفترة، ميز السياسة الخارجية البريطانية نقض فى المباشرة والوضوح وغياب القبول العاطفى لوجهات النظر الصادرة عن هؤلاء الموظفين والتجار الأحرار. لم يكن قد جاء وقت عصر (دعه يعمل دعه يمر) وكانت السياسة الخارجية البريطانية تقليدية فى إذعائها لوجهات نظر الشركتين الشرقيتين عندما بدأتا فى وضع هذا الاهتمام فى المرحلة الثانية بتردد. وكان العامل الوحيد فى السياسة الخارجية البريطانية فى مصر الذى استمر يحفز هذا الاهتمام «هو الحساسية تجاه الجهود الفرنسية فى مصر». وحتى فى هذا فان وزارة الخارجية (البريطانية) لم يكن لديها منظور واضح للسياسة الفرنسية فى مصر، بفضل التقارير غير الدقيقة للسفراء المتعاقبين فى القسطنطينية والقناصل البريطانيين فى مصر. وكان افضل تصوير لهذه الحقيقة هو أن كل مغادرة فرنسية فى مصر كانت تترجم بواسطة وزارة الخارجية البريطانية على أنها لفتح مصر للتجارة الفرنسية ـ الهندية، حتى فى الوقت الذى كانت فرنسا عازمة على مشروعها الخطير لفتح مصر. وعندما فشلت السياسة الفرنسية فى تأسيس تجارة فرنسية ـ هندية عبر مصر، فإن السياسة الخارجية البريطانية فى

خصوص الإهتمام البريطاني فى مصر بدأت تفقد نشاطها وفى سنة ١٧٩٣ أغلقت بريطانيا قنصليتها فى مصر .

منذ الغزو التركى فى بواكير القرن السادس عشر كان البحر الأحمر مغلقا أمام كل الملاحة المسيحية .

وكان هذا هو أحد أسباب هجر طريق التجارة القديم الى الشرق عبر مصر والبحر الأحمر لأكثر من قرنين من الزمان برغم أهميته ، وتفضيل التجار الاوروبيين لرأس الرجاء الصالح بدلا من القاهرة والاسكندرية كقناة رئيسية للمواصلات مع الهند والشرق الاقصى . نظريا ، لم تكن أى سفينة مسيحية تقترب من الأملاك التركية من المحيط الهندى تستطيع الإبحار ماوراء (المخا) ولكن مع نهايات القرن السابع عشر كانت السفن التابعة لشركة الهند الشرقية تستطيع ان تصل الى جدة مع تقاض شريف مكة الذى وجد فى خرق قرار السلطان مجالا للربح . ومع هذا ، فان ما بعد هذا الميناء كان البحر الأحمر مغلقا تماما أمام (الكفار) .

ومع هذا ففى النصف الثانى من القرن الثامن عشر حفزت الأحداث فى كل من مصر والهند الاهتمام البريطانى بمصر .

فى سنة ١٧٦٦ استولى (على بك) حاكم القاهرة وأحد البكوات الأربعة وعشرون على السلطة بانقلاب . ومدفوعا باعتقاد مفاده ان وضعا تجاريا مزدهر البلاد قد يساعده على اقامة استقلاله وتوسيع الخرق مع الامبراطورية العثمانية ، زج البك متأثرا بنصيحة التاجر البندقى (كارلو روزيتى) Carlo Rosetti الذى كان له نوع من التأثير عليه ، زج بنفسه فى مشروع فتح بلاد العرب كمطلب ضرورى لتوجيه التجارة الهندية مع السويس . فى اكتوبر ١٧٧٠ ترسخ الحكم المصرى فى الحجاز وأعطيت الأوامر باستقبال السفن الأوروبية «بأعظم لطف»

فى الأمـلاك المـصـرية فى البـحـر الأحـمـر[١] . اتخـذت فى القـاهرة الخطوات اللازمة لإقرار الأمن والنظام اللازمين للتجارة . وفى الحقيقة ، لقد كتب أحد الحوليين المعاصرين . وكان ـ واضح بعض مبالغاته ـ عن عصر على بك بأن «الشخص يستطيع أن يسافر وحيدا فى الليل ، راكبا أو ماشيا مع كمية كبيرة من الدراهم والدنانير الى اى مكان ، وأن ينام فى الأراضى الفـسـيـحـة دون سلاح[٢] . ويحكى (لوزينجيان)Lusignan أحدى مستشارى البك أن قوميسارا يهوديا قد اعدم لضغطه على التجار وأن المعلم (ميخائيل فرحات) قد حل محله[٣] .

قـد يكون من المناسب التحول الى الشئون الهندية . فتحت التجارة الهندية مع (جدة) فى البحر الأحمر منذ نهاية القرن السابع عشر . إعتبر التجار الأحرار الهنود والبحارة الأحرار هذه التجارة التى كانت تسمى حتى ذلك الوقت (تجارة الخليج) وسيلة لتجنب النظم التى قصرت التجارة الانجليزية مع اوروبا على شركة الهند الشرقية . لكن ومع بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر بدأت تجارة الخليج فى التدهور بخطورة نتيجة لظلم شريف مكة وموظفيه الذين فرضوا غرامات هائلة على هؤلاء التجار . ومن هذه المسألة نبعث فكرة حمل التجارة أبعد الى السويس ، وبذلك يتم تفادى الغرامات الثقيلة التى يفرضها الشريف . وجدت الفكرة قبولا حسنا لدى (دارين هاستنجز) حاكم البنغال فى ذلك الوقت .

---

(1) Lusignan pp. 102-3; Brace, I,p. 105.

(2) Al - Jabarti. II,p. 384 . 5. (لقد قمت بفحص النص العربى(المترجم)

(3) Ibid, pp. 102 - 3. (لقد قمت بفحص النص العربى(المترجم)

ارتبطت اعادة تقييم (تجارة الخليج) بشدة قبضة موظفى شركة الهند الشرقية . ففى المقام الأول كان قد سمح لهم بالمشاركة فى تجارة التصدير من حساباتهم نظرا لمرتباتهم غير المناسبة . لكنهم كانوا قادرين ايضا فيما بين سنة ١٧٥٤ - ١٧٦٠ على تعاطى التجارة الداخلية ايضا والتى كانت حتى ذلك الوقت فى يد الأهالى ، وكان ذلك نتيجة انهيار سلطة (النظامات)[٤] بعد انتصار بلاسى plassey . فشلت المحاولة الوطنية لاستفادة هذه التجارة لأن (الدوستوك) وهو الامتياز الذى كان يسمح بعدم دفع رسوم على البضائع فى حالة (الترانزيت) أو النقل الى الأنهار الهندية ، والذى كان ممنوحا لموظفى الشركة من جانبها ، كان يمكنهم من جلب الإمدادات بنصف الثمن الذى يجلبه بها منافسيهم المحليين . وفوق هذا فإن نفوذهم مكنهم من فرض بضائعهم على سكان البلاد بأسعارهم التى يفرضونها « تقليد عرف باسم (بارچا)Barja أو (جوشاڤوت)Guchavut[٥] . وبهذه الأساليب لم تكن الحكومة الوطنية محرومة فقط من رسومها التى تحصل على تجارة واسعة ، بل أن رعاياها الفقراء كانوا فى حالة دمار أيضا . وفيما بين سنة ١٧٦٠ و١٧٦٧ حرك هذا الأمر نزاعا مستمرا بين «جمعية التجارة» ، ممثلة الموظفين والتجار الأحرار ، ومجلس المديرين . وبناء على إجراء مجلس المديرين تم الغاء الاحتكار الأخير الذى كان يحوزه الموظفين وأعنى به (احتكار الملح) ، فلقد تم الغاء هذا الإحتكار فى نهاية سنة ١٧٦٧ ، وفى سبتمبر ١٨٧٨ توقفت (جمعية التجارة) عن الحياة[٦] . ومع هذا فان ذلك لم يكن الحل لمشكلة الموظفين ،

---

(٤) النظام ، لقب حكام حيدر أباد بالهند من عام ١٧١٣ إلى عام ١٩٥٠ - المورد - منير البلبكى - بيروت - ١٩٨٢ - مادة Nizam (المترجم) .

(5) House of Commons Reports,Vol. 11,p.293.

(6) Jones M.,Worren Hastings in Bengal. pp.47 - 92.

ذلك انهم فى الحال بعد ذلك ، بدأوا فى اقراض فوائضهم المالية للشركات الأجنبية[٧] . وهكذا فإن كمية الأموال الخاصة التى اقرضت ، قدرت بواسطة (بيرك Burke) فى تقريره التاسع بمليون جنيه استرلينى فى السنة ، وتسببت فى منافسة هذه الشركات الأجنبية مع مبيعات الشركة فى فرنسا ، السويد ، والدنمارك[٨] . وكان الأدهى هو أن هذا الأسلوب من الإقراض كان عاملا مساعدا لتجفيف العملة من البنغال ، وفى سنة ١٧٧٢ استنفذت هذه المحافظة تقريبا عملتها النقدية المتداولة[٩] . وهناك كل سبب للإعتقاد بأن ، الحاكم المعين الجديد للبنغال وقتئذ ، اعتبر أن التجارة مع مصر ، والتى كانت تسمى وقتئذ «تجارة الخليج» المصدر الوحيد المتروك للموظفين[١٠] ، وأنه ليس الحل غير المباشر فقط لقضية جفاف العملة بمنع الموظفين إقراض نفوذهم ، لكن باستيراد العملة مباشرة ، وهو المقابل الرئيسى للتجارة مع مصر ، حيث ان هذا كان يوفر نصف مليون جنيه استرلينى سنويا[١١] . وإلى جانب ذلك فقد اعتبر (هاستنجز) ان هذه السياسة قد توفر سوقا كبيرة للمنتجين فى البنغال ، هذه السوق التى وفرت للأهالى فرص عمل وساعدتهم على التخلص من الضرائب الرئيسية[١٢] .

اثمرت هذه المشروعات عندما زار (چيمس بروس James Bruse) التاجر البريطانى والقنصل البريطانى فى الجزائر فيما بعد ، جدة فى مايو سنة ١٧٦٩وسمع شكاوى التجار الانجليز عن الظلم الذى يمارسه شريف مكة

(7) I.O.F.R., Egypt and the Red Sea,v. Considerations on The Country trade of India.
(8) Ibid.
(9) Ibid, "Areview of the Transactions in Bengal during the last ten years."
(10) I.O. Marine Records misr . 891. Extracts of Bengal public Consuitations.
(11) Ibid.
(12) I.O.F.R., Egpt and the Red sea, V. "Considerations on the Country trade of india".

وموظفيه ، وخاصة «عن اجراء تم استخدامه باكراههم على تقديم هدايا ، كانت حافزا للإضطهاد لعل الهدية تكون اكبر[١٣]» . كان هناك فى (جدة) سفينتين تجاريتين من الهند (The Merchant of Bengal) تحت قيادة الكابتن (كوثبرت ثورنهيل) Cuthbert Thornhill ، و (Thelion) تحت عهدة الكابتن (توماس برايس) Thomas price من (بومباى) ، وكان كلاهما مهتم بأمر التجارة المباشرة مع (السويس)[١٤] .

وضعت خطة كان على (بروس) فيها (بعد زيارته للحبشة) أن يحاول عقد اتفاقية تجارية مع البك الحاكم فى القاهرة ، بالنيابة عن التجار البريطانيين فى الهند ، بينما يبحر (ثورنهيل) الى السويس فى رحلته التالية من البنغال[١٥] . وبينما كان (بروس) يشق طريقه الى مصر ، وقعت عليه فتح الجزيرة العربية بواسطة (على بك) . كتب (ثورنهيل) الى البك فى ١٧٧٠ من (المخا) سائلا إياه أن يفتح «مناة للتجارة الى السويس[١٦]» . ويقرر (هوسكنز) Hoskins رن (على بك) قد فتح الموضوع مع (هاستنجز)[١٧] . غير أن هذا بعيد الاحتمال لدرجة كبيرة لأنه يتصادم مع نص خطاب (هاستنجز) الى (على بك) فى ٣١ديسمبر ١٧٧٢ ، والذى ذكر فيه ان الكابتن (ثورنهيل) لدى وصوله الى (البنغال) من (المخا) نقل اليه اجابة (على بك) على خطاب الكابتن ، والذى يعطى فيه الإذن للسفن الانجليزية للتجارة مع السويس . لكن لدى

---

(13) Bruce, II,pp. 188 - 189.
(14) Ibid.
(15) Ibid.
(16) Cal. of per. Corresp. IV,p.121. Hastings to Ali Beck of Egypt. 31 Dec.1772.
(17) British Routes to India, New York, 1928,p.14.

وصول الكابتن متأخرا فى ذلك العام . «لاسفن ترسل ، لكن واحدة سترسل فى العام التالى بتجارة كبيرة» . وفى نفس الوقت فان (هاستنجز) أرسل بعض الهدايا (لعلى بك)«لتحسين العلاقات معه»[١٨] . وكان رد(على بك) فى خطابه الحساس للغاية ، يتضمن وعدا بتقديم كل التسهيلات والمساعدة التى فى إمكانه . . . وتنمية فتح مثل هذه التجارة فى مينائه[١٩] . وكنتيجة لهذا فقد انشئت شركة مساهمة صغيرة فى (كلكتا) للتجارة مع مصر . كان رأس مال هذه الشركة ٣٠٠٠ روبية مقسمة الى ١٠٠ سهم[٢٠] . عين ثلاثة مديرين ، يتشاركون فى ٥٪ على مشتريات البضائع ، و٢٪ على عائدات المبيعات من «تجارة الخليج» أو ١٪ لمدفوعات السبائك الذهبية التى تدفع فى المقابل[٢١] . وكان كل مدير يحوز سهمان . وكانت حصص العائدات تقسم بين المكتبين[٢٢] ، الذين كانت أغلبيتهم تشكل لجنة لمراقبة عمل المديرين[٢٣] ، الذين كانوا يبدأون عملهم فى يناير سنة ١٧٧٣ لجعل استثمارات البضائع جاهزة فى نوفمبر[٢٤] .كانت الرحلة فى حاجة إلى سفينة حمولة ٤٠٠-٥٠٠ طن وأخرى صفيحة حمولة ١٥٠طن صناعة (بومباى أو سورات)[٢٥] ، طُلِب من (هاستنجز) أن يكون المؤسس وأب القضية وأن يعطى أذنا بأن يوضع إسمه بهذه الصفة[٢٦] . وفوق هذا ، فقد عين المديرين الذين كانوا (الكابتن ثورنهيل) (روبرت هالفورد) Rebert Halford ،

---

(18) Cal. per. Corresp. IV. 121. Two letters From Hastings to Ali Beck of Egypt on 31 Dec.
(19) B.M Add. Mss., 2921 C,F. 428 - 29. "Proposals For a Commerce to Suez"
(20) B.M Add. Mss., 29210 ,F. 426.
(21) Ibid.
(22) Ibid.
(23) Ibid.
(24) Ibid.
(25) Ibid.
(26) Ibid. F. 428 - 9.

و(ديفيد كيليكان) David Killican . اعطى للشركة إسم (مغامرة السويس) Suez adventure . ولقد كانت مغامرة بالفعل ! ففيما يختص بالملاحة فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر ، فإن شركة الهند الشرقية وموظفيها كانوا أسوء الناس علما . كان (هنرى تستو) Henry Tistew ، الذى كان قنصلا بريطانيا فى طرابلس ، فى سوريا ، أحد الإنجليز القليلين الذين جربوا البحر الأحمر ومنه الى (سورات) سنة ١٦٨٩ . ومن المحتمل انه لايوجد منال افضل عن الجهل البريطانى بالملاحة فى البحر الأحمر من الإقتراح الذى تدفعه الشركة الجديدة الى (هاستنجز) بأن يسأل (على بك) بأن يرسل سفينة صغيرة Fender وقاربين طويلين مع خبير فى (المسح) لتشغيل السفن الهندية عند زيارتها إلى السويس ، ولو للسنة الأولى على الأقل(٢٧) .

وبينما كانت هذه الإجراءات تنفذ فى الهند ، إذا بانقلاب جديد يظهر فى مصر ترتب عليه أن أصبح (محمد بك أبو الذهب) المستبد الجديد . كان ذلك فى الوقت الذى وصل فيه (چيمس بروس) James Bruce إلى مصر(٢٨) الذى اجرى مقابلة ممتعة مع (محمد بك) الذى سماه (يعقوب الحكيم) ونال حظوه عنده . ناقش يعقوب (چيمس بروس) مع البك رغبة التجار الانجليز الشجعان والأمناء والأغنياء فى التجارة مباشرة بين الهند ومصر . ومدفوعا بنفس الأنكار التى كانت عند سلفه ، فقد منح البك (لبروس) فى فبراير ١٧٧٣فرمانا(٢٩) يوافق فيه للسفن الانجليزية على دخول السويس مع دفع رسوم قدرها ٨٪ بدلا من ١٤٪ التى كانت تفرض فى جدة ، وخمسون (باتاكا) عن كل سفينة لقومندان

---

(27) Ibid.
(28) Bruce. IV. 718.
(29) Ibid, I,Appendix Ccxcic- Ceel.

السويس نظير الرسو[٣٠] . وإلى جانبه توفير إجراءات الأفق ضد التحرش وطلب الهدايا ، فان الفرمان سمح للتجار الانجليز بالتجارة مع القاهرة «بالمال أو المقايضة أيهما انسب لهم» وبمجرد صدور الفرمان اتصل (بروس) بحكام (بومباى) و(البنغال) والقباطنة (ثورنهيل) و(برايس) وأبلغهم به مرفقا به خطابا من رئيس الجمارك فى مصر[٣١] . كان من الواضح أن الفرمان يعتبر مقدمة لاتفاقية أخرى ، لأن (بروس) اختتم خطابه الى (ثورنهيل) بنصحه إياه لعدم احضار «اى منتجات من شبه الجزيرة العربية ، على الأقل فى الرحلة الأولى حتى تسوى أمورك هنا»[٣٢] . اختار مديرو (مغامرة السويس) (جون شو) John Shaw والكابتن (ويليام كريج)William Greig بالرحلة من (كالكتا) الى مصر وتوقيع الإتفاقية مع (البك) .

كان على (شو) ادارة أمور الشحنة بينما كان (كابتن كريج) مسئولا عن الإدارة الكلية لملاحة السفن . كان من حقهما أن يستوليا على ٥٪ على المبيعات (٣٪ لشو ، ٢٪ لكريج) . وكان سدس الشحنة يعطى امتياز كبديل عن ١٢٠٠٠روبية ، توزع بينهما وبين الضباط . كانت السفن هى (تاجر البنغال) The Bengal Merchant ، و(كودالور سكونر) Cuddalore Schooner تحت قيادة الكابتن (ويدربورن)Wedderburn ، والتى منحها الحاكم (هاستنجز) للمالكين كسفن نقل للمساعدة فى استكشاف الممر الى السويس . اختير (شو) للتباحث مع البك ،

---

(٣٠) باتاكاه Pattacka اسم لعملة قديمة فى بولندا كانت تستخدم فى مصر فى ذلك الوقت .

(31) Ibid. VI,p. 534 - 9.

(32) Ibid.

فى بعثة انيقة ومحترمة[٣٣] . وعلى عكس تأكيد (شارلرو)Charles Roux ، فإن فرمان البك لم يستقبل بحماس فى الهند . «لقد نتج الكثير من خيببة الأمل نتيجة إمعان النظر فى الفرمان حيث يبدو أن رسما قدره ٨٪ سيفرض على كل الواردات الى مصر» كتب (هاستنجز) الى (محمد بك) فى أول ديسمبر سنة ١٧٧٣[٣٤] . واقترح الحاكم العام (للبنغال) أن تخفض الرسوم الى ٥٪ وكان هذا فى الواقع هو المقترح الرئيسى للمعاهدة الجديدة التى أرسل (شو) للتباحث بشأنها[٣٥] . فى نفس اليوم كتب (هاستنجز)خطابا آخر إلى مصر يبلغ فيه (البك) برحيل السفن المحملة بالبضائع والهدايا بما فى ذلك «الموسلين الفاخر والشيلان والنارجيلات وبندقية وتلسكوب» . وبمجرد رحيل هذه السفن فى بواكير ١٧٧٤ من «كلكتا» هاجمتها ريح عاتية فى الخليج» واستبعدت الرحلة[٣٦] .

وتشير حقيقة ان (هاستنجز) قد عنون خطابيه فى اول ديسمبر ١٧٧٣ الى (على بك) رغم ان الفرمان كان موقعا بمعرفة (محمد بك) ، الى أنه (هاستنجز) لم يكن مدركا بالانقلاب الجديد فى مصر . على أن ماهو أكثر إثارة للاهتمام ، هو أن(هاستنجز) فى بدايات سنة ١٧٧٤(غير مدرك بالتغيير الجديد فى مصر)كان فيما يبدو يعتقد ان (سلطان مصر)كان يحمل اسم(محمد على) ، كما هو واضح من خطابه فى ٢٨ فبراير ١٧٧٤ ، الذى يخبره فيه بسوء طالع السفن وواعدا بإرسال سفينة أخرى فى العام القادم . ويستنتج (البروفسيور هوسكنز) Hoskins بوضوح ان الخطاب كان مرسلا الى على بك ويحكى سوء

---

(33) Ibid. VI,pp. 538 - 45 “Copy of the instructions From the Manager of the Suez a dventure to Mr. John Show and Captain William Greig”.

(34) Cal. per. Corresp. IV,p.122(67)

(35) Ibid.

(36) Ibid.

حظ السفن قبل اصدار الفرمان[٣٧] . ومع هذا ، ففى بداية سنة ١٧٧٥ أرسلت السفينة (مينرڤا) Minerva من البنغال تحت قيادة كابتن (ثورنهيل) و(شو) الذين كانا مسئولان مسئولية مشتركة عن الحمولة ، ووقعا فى مارس بالقاهرة معاهدة تجارية فى السابع من الشهر ، بالنيابة عن الحاكم العام[٣٨] .

تضمنت المادة الأولى من المعاهدة نصا عن حرية الملاحة والتجارة بين رعايا البلدين بينما تعاملت باقى المواد مع تنظيم التجارة البريطانية فى مصر . كانت البضائع الواردة من البنغال ومدواس تخضع لـ ٦ ½٪ رسوم ؛ بينما خضعت بضائع سورات وبومباى لـ ٨٪ . خمسون (باتاكا) كانت تدفع كرسوم للرسو وكذلك بعض المبالغ الصغيرة من المال لأعراب (الطور) و(السويس) والقاهرة . وفى حالات الديون والجريمة فإن التجار البريطانيين كانوا يحاكمون بمعرفة السلطات المصرية وفقا للقانون القائم ، بينما كان يتم التصرف فى المخالفات البسيطة بمعرفة «رئيسهم المقيم فى القاهرة» . وفى حالة وفاة أحد التجار فإن ممتلكاته تسلم الى ورثته . وكانت هناك مادتان تتعاملات مع استثناء التجار البريطانيين من دفع الرسوم فى حالة البضائع غير المباعة فى مصر ، ومع الامتياز الخاص باستيراد بضائع من مصر دون رسوم جمركية . كان النقل بين السويس والقاهرة على مسئولية (بك) القاهرة الشخصية . وعند وصولهم الى السويس كان على التجار أن يعرفوا (البك) بارسال (فواتيرهم) وشهادة تحدد المكان الذى اتوا منه ، وعلى وجه الخصوص ان برزوا «جوازات سفرهم» الى حاكم السويس كدليل على انهم رعايا انجليز «تجار حقيقيون» . كانت البضائع تؤخذ إلى التجار فى منازلهم فى حضور رجال الجمارك عند

(37) Op.Cit.,p.15.
(38) C.o., 77,25 and B.M.Add., 29,201F/11,17,14,24,210,241,412 ,422, 426, 30,32.

فتحها وبيعها . وفى النهاية فان المعاهدة نصت على أنه فى حالة انقطاع العلاقات الودية فان مهلة مدتها ستة أشهر تعطى لرعايا الطرفين المقيمين فى املاك الطرف الآخر . تؤسس المعاهدة حقيقة جلية واضحة ، أن البريطانيين لم يفهموا المماليك . نظريا يحتمل ان لايتوقع المرء أكثر من أعفاء من دفع الرسوم فى حالة البضائع البريطانية غير المباعة من مصر ، لكن عمليا قد يشك المرء فى حسن النوايا عند القوة الحاكمة فى مصر فيما يتعلق بالمعاهدة . من الملفت للانتباه كيف ان مسافرى الفترة الى مصر من البريطانيين (تايلور[٣٩] وايدوين[٤٠] ، وبالدوين[٤١]) كانوا تحت وهم احترام المماليك للبريطانيين .

سببت المعاهدة اهتماما كثيرا فى ثلاثة اماكن : لندن ، كالكتا والقسطنطينية ، وبذلت محاولات غير مجدية لإنجاز التصديق عليها . لدى وصول (بروس) الى لندن فى سنة ١٧٧٤ ، سعى لمحاورة (لورد نورث) Northe . ان التجارة التى تجرى هناك بواسطة (شركة) السويس والبرزخ ، قد لاتكون ذات فائدة لشركة الهند ، وربما كانت خسارة لها . وقد كتب (بروس)مؤخرا فى سنة ١٨٠٤«هكذا كانت اجابة لورد نورث» . ولاحظ(بروس)المحبط «أنه يبدو غريبا انه مع مراعاة الامبراطورية الواسعة التى تمتلكها بريطانيا فى الهند الشرقية ، فإن الشركة وموظفيها يبدون للمرء كجهلة بالبحر الأحمر والموانى التربه ، كما يبدون غير مكترثين للوسائل التى تجعلهم أكثر علما ، ببحر يغسل شواطئهم ويأتى فى رحلة مداها يومان من البحر المتوسط[٤٢] . وفى هذا فلقد كان محقا ، لأنه تكنيكيا فإن معاهدة كهذه لايمكن أن تكون ضارة لشركة الهند .

(39) H.M. 436 (2) Taylor - Report to Abercrombie, p.32.
(40) p.383 -5.
(41) B.M.Add. Mss., 29,210 F.422. "The English enjoy a sort of predilection in the hearts destination of the Mamelukes."
(42) Bruce, VI,pp. 534 -5.

وكما لاحظ (فيليب فرانسيس) Philip Francis فيما بعد سنة ١٧٧٧ فإن التجارة الهندية مع مصر كانت تجارة التصدير الى «الخليج» فى المقام الأول ، وزودت فى النهاية نفس الأسواق (بالبضائع) التى لم تكن من نفس نوعيات البضائع المرسلة الى أوروبا[٤٣] .

فى الهند استمر (دارين هاستنجز) فى دعمه (للتجارة) حتى سنة ١٧٧٨ . وتسجل «البنغال للاستشارات العمومية محاولتان (١٧٧٦ ـ ١٧٧٧) بمعرفة هاستنجز للحصول على موافقة مجلسه لهذه التجارة . وهنا فقد كان معارضا بسطحيةمن جانب (فرانسيس) و(كلاڤرنج) Clavering . لم يجد فرانسيس سببا لعدم تولى الشركة هذه التجارة» إذا . . كانت مصحوبة بفوائد[٤٤] . ومنذ(كلاڤرنج) دعاوى (هاستنجز) بأن التجارة ذات فائدة لأهالى البنغال : «رغم أن هذه التجارة للخليج» ، يقول للقنصل ، «فإنها كانت ذات فائدة للبنغال ، ويمكن ان تستمر كذلك ، لو أنها (التجارة) كانت فى يد التجار الوطنيين كما كانت فى السابق ، الذين قد يرى حيازتهم للعملات أو اشتغالهم بالصناعة والمواد الخام ، البلاد التى يعيشون فيها ، لكن التجارة فى هذه الفترة كانت فى أيدى التجار الإنجليز الذين كانوا يتجارون فى هذه البلاد . ورغم أنها كانت مربحة لهم ، الا أنها كانت تستخدم بصفة عامة لتحويل ثرواتهم فقط ، ولم تكن تسهم فى مصلحة البنغال التى كانت تؤخذ منها المصنوعات ، دون اى عائد مقابل ذلك» . ويلخص (كلا ڤرنج) جداله معلنا أنه « اذا كان هناك مجرد شك عن الإجحاف ، الذى يحدث لمبيعات الشركة بواسطة فتح التجارة مع السويس ، فإننى اعتقد أنه من المنصوح به كثيرا للحكومة أن لاتأخذ أى

(43) I.O.Marine Records Misc.891. "Extract of Bengal Consultations" 28, Aug. 1778.

(44) Ibid, 4 Nov. 1776.

دور نشط فى هذا المقام ، حتى يكون هناك وقت كاف للشركة لتقدير الآثار المحتملة ، ولتعطينا أوامرها عن ذلك»[٤٥] ، وفى الثامن من اغسطس سنة ١٧٧٧ وعد (هاستنجز) الذى فشل فى حث المجلس على قبول مشروع «التجارة» بإعادة إثارة الموضوع مرة أخرى[٤٦] . لكن يبدو أنه لم يفعل ابدا . ومع هذا ، فان هناك كل الأسباب للاعتقاد وبأن «هاستنجز» وقد أعطى دعمه للتجارة حتى سنة ١٧٧٩[٤٧] .

كانت (القسطنطينية) منشغلة للغاية بحربها مع روسيا (١٧٦٨ ـ ١٧٧٤) ، وامتص الوضع الحرج للباب العالى خلال ذلك الوقت كل اهتمامها . انتهت الحرب بتوقيع معاهدة (كوچك قينارچى) ، ١٧٧٤ ، التى كانت أكبر مهانة للباب العالى ، والحافلة بالمخاطر لمستقبل الامبراطورية فى المستقبل . حقيقة ربما دفعت الباب العالى الى سياسة عنيدة تجاه (الوضع الراهن) . وبطبيعة الحال كان الباب العالى ينظر الى الجهود البريطانية فى مصر بإدراك غير قليل . وكما سبق الاشارة من قبل فقد كانت سياسة الامبراطورية العثمانية دائما هى منع الملاحة المسيحية فيما وراء (جدة) . برد الباب العالى سياسته هذه رسميا باعلان أن «بحر السويس مخصص للحج الشريف الى مكة ، والسماح للفرنجة بالملاحة هناك ، يفسد قضية الدين»[٤٨] . قد يشك المرء ما اذا كان الإسلام قد دنس أكثر بواسطة السفن الانجليزية القادمة الى السويس ، أم بواسطة السفن الذاهبة الى جدة . كانت السياسة العثمانية فى هذا الصدد

---

(45) Ibid, 8 Aug. 1777.

(46) Ibid.

(47) H.M. 145 (13),p.459. Hastings to the Court of Directors, 14 Jan. 1780.

(48) S.p. 97.53. Presentation from Ottoman porte to His Britanic Majestey's Ambassador, 5 May 1777.

مؤسسة على ثلاثة حقائق اعتباطية . فى المقام الأول كان الباب العالى محروما تقريبا فعليا من الرسوم التى تحصل فى المحافظة المصرية شبة المستقلة . فى المقام الثانى كانت التجارة المحظورة مع (جدة) عاملا من عوامل الإزدهار للحجاز ، وكان الباب العالى يعتمد على الرسوم لتغطية النفقات اللازمة «للمدينة» «ومكة»(٤٩) . وفى المقام الثالث فان الباب العالى كان مدرك فقط ان هذا النظام من التجارة قد يزيد من دخول المماليك وبالتالى يساعدهم فى تقوية استقلالهم عنه . ولقد كتب السفير البريطانى الى حكومته «ان الأخطر فى هذه الأمور الثلاثة ينبع من الغيرة فى الباب العالى من القوة المتنامية للبكوات وخشيته (الباب العالى) أن تصبح الولاية المصرية مستقلة(٥٠) .

عندما وصلت السفينة البريطانية الأولى حاملة (ثورتهيل) و(شو) الى السويس ، شكا (شريف مكة) الى الباب العالى ، الذى قدم فى الحال مذكرة الى (چون موراى) السفير البريطانى محتجا على وصول السفينة ومعتبرا ذلك (بدعة)(٥١) . وفى نفس الوقت فإن الباب العالى ارسل فرمانا الى حكومة مصر لمنع السفن الانجليزية من الرسو فى السويس ، أو مصادرة حمولاتها كبديل ، وسجن كل الاشخاص الذين على ظهورها(٥٢) . ومع هذا فإنه لايبدو ان السفير البريطانى قد خابر حكومته بشأن مذكرة الباب العالى . وقد رفض مطلب الباب العالى على أساس انه يعد انتهاكا للإمتيازات التى منحت الرعايا

---

(49) S.p. 97.52 Ainslie to weymouth.3June 1776.
(50) Ibid, Hayes to waymouth, 3Jan. 1776.
(51) I.O.F.R., Eygpt and the Redsea,V. Baldwin to the Court of Directors, 19 February 1784.
(52) S.p. 97.51 Firman to the Government of Egypt (Italian text) 1774, and James Capper, p. VIII and Charles Roux, L'Egypte et le Canal de Suez, Annexe 3,p.417.

البريطانيين[٥٣] ، الحرية الكاملة للتجارة فى ممتلكات السلطان . وأعاد الباب العالى مطلبه لخليفة (موراى) ، (انتونى هايز) Antony Hayes القائم بالأعمال (أكتوبر ١٧٧٥ - يونيو ١٧٧٦) سائلا الحكومة البريطانية أن تعطى أوامرها لمنع الملاحة لهذه السفن[٥٤] . ورغم أن (هايز) قد سلك نفس مسلك(موراى) ، فإنه مع هذا أوصل مطلب الباب العالى الى (لوردويموت) Weymouth ، وزير الخارجية . وفى الواقع فإن احتجاجات الباب العالى كان يمكن أن تكون عديمة الجدوى طالما كان بكوات مصر شبه المستقلين يشجعون هذه التجارة . فى بواكير ١٧٧٥ عين الباب العالى (محمد بك) باشا على القاهرة ، وهو مطلب يعرضه للنقل الى ولايات أخرى من الامبراطورية العثمانية . كان (هايز) ذكيا بما فيه الكفاية لأن يدرك أنه كان «خطوة سياسية من جانب الباب العالى ، الذى كانت غيرته تتنامى من قوة وقدرات (البك) ، لكن (البك) رفض هذا الشرف بأدب ليتجنب الشرك ، الذى قد يدمره إذا ترك مصر[٥٥] . فى حوالى هذا الوقت ظهرت على المسرح شخصية جديدة :(چورج بالدوين) .

---

(53) I.O.F.R.,V. Ainslie top. Mitchell, 17 June 1774.
(54) S.p. 97.51 Hayes to weymouth, 3Jan. 1776.
(55) Ibid, 3July,1775.

الفصل الثالث

أهمية مصر على طريق جديد متصور الى الهند

عاش چورچ بالدوين فى قبرص وعكا خلال السنوات ١٧٦٠ - ١٧٦٨ كوسيط تجارى لشركة الليڤانت ، وإذا كان يمكن تصديق روايته فإنه حاول وقتئذ أن يعيد فتح طريق البحر الأحمر إلى الهند ولكى ينمى هذه الخطة فقد عمل ترتيباته للتقدم كبحار من مصر الى الشرق . أخرت وفاة شقيقه (ويليام) William الذى كان قنصلا فى قبرص سنة ١٧٧١ ، وتعيينه ليخلفه ، أخرت المشروع لفترة . ولم يستطع قبل منتصف ١٧٧٣ أن يباشر مشروعه ، وفى نفس السنة وصل إلى القاهرة حيث كشف عن خطته (لمحمد بك) الذى شجعه على أن يصونه ، ووفقا لشهادة (بالدوين) فإن (محمد بك) قال له «إذا اتيت بالسفن الهندية الى السويس فإننى سأمد قناة من النيل الى السويس وستشرب من ماء النيل[1] . ذهب (بالدوين) الى القسطنطينية ليعلن خطته التى قبلت بواسطة (چون موراى) . فى مارس ١٧٧٣ استقال[2] من وظيفته كقنصل ثم عاد إلى مصر مرة أخرى بعد اثنا عشر شهرا ، ساعيا على الاستقرار فى السويس من أجل الهند ، لكن عقبات عديدة عطلت محاولته ، وفى النهاية فقد صبره لقد مرت ثلاثون يوما ، واستنفذت مدخراتى ، وروحى لم تعد صابرة ، والصحراء فارغة ، من كل الموارد[3] . وعاد إلى انجلترا . وبمجرد سفره وصل (شو) Shaw الى السويس لإنهاء المعاهدة مع (محمد بك) حينئذ قرر (بالدوين) فى الحال أن يعود الى مصر ، وعرض خدماته كوكيل لتسهيل المراسلات بين انجلترا والهند عبر مصر ، الى (مجلس المديرين) . وفى

---

(1) Baldwin, political recollection relative to Egypt, pp.4 - 6.
(2) S.p. 105.119 The levant Company to pro-consul smith at Aleppo. 16August , 1771 and Ibid 120. Company to Baldwin 15 Dec.1772
(3) Baldwin, Political...,pp 4 - 6.

الحقيقة فإن الصراع بين المستوطنات الإنجليزية والفرنسية فى الهند ، مشروعات (كليف)Clive ، السياسة النشطة (لوارين هاستنجز) ، السؤال الحيوى ما إذا كانت الهند وتجارتها يجب أن تكون تحت سيطرة باريس أم لندن ، كل هذا تطلب طريق مواصلات أكثر سرعة مما كان يمكن أن يوفره طريق رأس الرجاء الصالح . ثانيا كان الطريق البرى عبر البصرة ، بغداد وحلب ـ وهو القناة الممكنة الثالثة للاتصالات البريطانية ـ معرضا للتهديد فى القرن الثامن عشر بواسطة القرصنة فى الخليج الفارسى والحرب المستمرة بين الأفغان والفرس من ناحية ، والأتراك والفرس من ناحية أخرى[٤] . وفوق هذا فقد كانت هذه الرحلة شاقة للغاية ومعرضة على الدوام للسلب والنهب المفاجئ من جانب العرب على طول الطريق[٥] . فى بواكير نوفمبر ١٧٧٣ اخطرت الشركة عبر (وارين هاستنجز) عن المشروع التجارى ، والذى أشار أيضا الى فوائد الاتصال ، الجديد والمستمر عن طريق الخطابات مع البلاط المحترم فى انجلترا[٦] . وافقت الشركة على تشغيل السفينة الشراعية(سود الور) Suddalor كنوع من المساعدةفى الرحلة . وتقول اجابتهم «نحن نقدر أن معرفة من هذا النوع لن تفشل فى أن تكون مفيدة للشركة الموقرة[٧]» . ويبدو أن (هاستنجز) اعتبر هذا العمل يتضمن اعترافا كافيا لجهوده التالية فى شأن المشروع . ولا عجب إذن أن يوافق (مجلس المديرين) فى الحال على عرض (بالدوين) مع الوعد بتعويضه عن كل ما أنفقه من نفقات[٨] ، ووصل بالدوين الى القاهرة فى سبتمبر ١٧٧٥ .

---

(4) Wilson, the persian Gulf, pp. 174-5.
(5) Dodwell, the Founder of Modern Egypt, p.4.
(6) I.O Marine Records 891, "Extract of Bengal public Consultations." 18 November 1773.
(7) Ibid, "General Letter from Bengal", 15 March 1774.
(8) I.O.F.R., "Egypt and the Red Sea," V., Mitchel to Baldwin, 10 June 1775.

شهد عام ١٧٧٥ حدثين هامين ، على درجة كبيرة بالنسبة للتجارة الهندية الى مصر ، أمالا ببطء ولكن بطبيعة اتجاه الأحداث الى لندن والقسطنطينية فقط ؛ كان الحدث الأول هو موت (محمد بك ابو الذهب) مبكرا فى ذلك العام ، وكان الثانى هو تعيين السير (روبرت إينسلية) Robert Ainslie فى سبتمبر كسفير بريطانى إلى القسطنطينية .

بدأت بموت (محمد بك) فترة من الفوضى السياسية والاجتماعية وسوء الادارة (١٧٧٥ - ١٧٩٨) . كانت الأسباب الرئيسية وراء ذلك هى الصراع بين البكوات المماليك على السلطة ، والتدهور الاقتصادى للبلاد . فمنذ ١٧٧٥ إلى ١٧٧٩ ظهر صراع بين (اسماعيل بك) ممثل جماعة (على بك) من ناحية ، (وابراهيم بك ومراد بك) من جماعة (محمد بك) على الناحية الأخرى ، وهو توتر انتهى فى ١٧٧٩ باستيلاء ابراهيم ومراد على الحكومة وتشاركهما فى (حكومة القاهرة) و(إمارة الحج) . كان عدم التكامل الاقتصادى للبلاد راجع فى المقام الأول الى التغير المستمر للعملة المحلية وتدفق الفضة الأجنبية الجيدة أو العملة الذهبية «التى احضرها (الفرنجة) معهم»[٩] . وفى المقام الثانى كان قصور فيضان النيل ، اهمال القنوات والرى بصفة عامة سببين لانهيار الزراعة ، بنتائجها الواضحة . وفى بلد تكون الصراعات بين الطبقة الحاكمة دائمة ، فإن

(٩) كان الريال الأسبانى Real d'Espagne ، والزكينى البندقى Venetian Sequin افضل العملات فى الامبراطورية العثمانية ؛ انظر فانسليب Vensleb .
" Nouvelle relations en forme de journal d'un voyage en Egypt" Paris, 1698.
كانت الجزية ترسل الى القسطنطينية ، فى سنتى ١٦٤٧ ، ١٦٧٢ بالعملة الأجنبية .
Moncony's journal des voyages de Monsieurde Moncony's part I, Lyon 1665
انظر :أيضا Précis de L'histoire d'Egypte مجلد III ، ص٨١ - ٩٠ لإيتيان كوب Etienne Combe وتوجد قائمة بالعملات المستخدمة فى مصر فى القرنين السابع والثامن عشر فى عمل نوردن Norden . "Travels in Egypt" ص ٤٢ .
انظر Pococke ، مجلد .

الأمل يكون ضئيلا لتجارة مؤسسة . كان المماليك «جهلة يعيشون الخرافة ، جعلتهم عمليات القتل المستمرة شديد والضرر ، ميالون الى اثارة الفتنة ، جعلتهم عصابات سرية خؤوتة متخفية بجبن تحت ستار كما كانوا الرذيلة غير الطبيعية والفساد[١٠] . كان طريق المماليك للشرف هو الإرتداد ، وكان لقبهم للقوة هو الاغتيال واحتقار الموت . ولم تكن القوة سوى الوسيلة للحصول على النساء ، الخيول ، المجوهرات والخدم . كان محركهم الأساس هو «الذهب» وكان ينبغى الحصول عليه بكل وسيلة يمكن تخيلها . كانت شكاوى التجار الأوروبيين والليڤانتيين ضد التعصب وسوء المعاملة من جانب المماليك متزايدة فى القرن الثامن عشر . ويحتمل ان لايكونوا قد لاحظوا ان الفلاح المصرى كان عرضة لنفس المعاملة والسلب . إن تراجيديا القصة كلها هو أن الحكومة البريطانية فى تقديرها للقضية المصرية فى صيف ١٨٠١ ، تجاهلت خلفية القرن الثامن عشر من التاريخ المملوكى ، وهو عامل كان يمكن أن يساعدهم فى تقدير الشخصية المملوكية الحقيقية .

لم يقدر بالكامل المسلك العدوان(لروبرت اينسلى)Robert Ainlie السفير المعين حديثا فى القسطنطينية ، لمسألة التجارة الهندية مع مصر ، لم يقدر هذا المسلك من جانب القليلين جدا الذين تعاملوا مع الموضوع . ويكتب البروفيسور (هوسكنز) Hoskins قائلا أن «إينسلى قد اتخذ موقفا عاطفيا تجاه الأتراك ، جزئيا بسبب كره شخصى (لبالدوين) ، الذى كان يشك فى أنه يقدم مصالحه الشخصية على حساب التاج ، شركة الهند الشرقية ، وجزئيا لاعتقاده انه قد فهم موقف كلا من الحكومة فى الوطن والشركتان المعنيتان[١١] . فى المقام الأول

---

(10) Ghorbal, op. Cit., p.2.
(11) Hosking, op. Cit.

فإنه لايوجد أى دليل على سوء فهم بين (اينسلى) و(بالدوين) قبل نهاية ١٧٧٨ . وفى المقام الثانى فإن سلوك حكومة الوطن وشركة الهند الشرقية كان مقررا أساسا بواسطة (اينسلى) نفسه . كان السير (روبرت اينسلى) يعتبر أن تطور التجارة الهندية مع مصر يشكل خطرا جسيما على شركة (الليڤانت) التى كان هو يمثلها[١٢] . فشركة الليڤانت ، كانت تصدر الى أملاك الباب العالى منذ بدايات القرن السابع عشر ، كميات ضخمة من البضائع الشرقية ، وخاصة (الموسلين) الذى كان يأتى إلى انجلترا بواسطة تجار الهند الشرقية[١٣] .وكان (اينسلى) مدركا ان استمرار هذه التجارة التى تتجاهل مطالب الباب العالى ، قد يتبعها رد مقابل بواسطة الباب العالى ضد تجار (شركة الليڤانت) وممتلكاتهم . ولقد كتب الى(ويموث) ، ان التجارة المحمولة على سفن انجليزية بين مستعمرات شركة الهند الشرقية وميناء السويس فى حكومة مصر تصبح كبيرة يوما فيوم ، وهذا قد يسبب ازعاجا عند الباب العالى ، وأخشى سيدى اللورد ، ان ينتج هذا نوعا من أعمال السخط والاحتجاج من جانبهم ، يضر بالمصالح التجارية لرعايا صاحب الجلالة المتاجرين فى الليڤانت[١٤] . وفى المذكرة الصادرة بتاريخ ٥ مايو ١٧٧٧ حث الباب العالى (اينسلى) ، لأن يكتب الى بلاطه بكل جدية عن هذا الموضوع ، وأن يوظف اجتهاده فى الحفاظ على الصداقة المستديمة للبلاطين على نفس المستوى الذى هى عليه[١٥] . ثالثا ، فقد أعتقد أن هذه التجارة التى يتولاها المغامرون المستقلون من أمم مختلفة ، لابد فى وضعها الحالى أن تضر مصالح شركة الهند الشرقية

---

(12) S.p. 97.53, Ainslie to Weymouth, 18 March 1777.
(13) S.p. 97.53, Ainslie to Weymouth, 3 March 1777.
(14) Ibid.
(15) S.p. 97.53, Representation from the Ottoman porte to His Britannic Majesty's Ambassador, 5 May 1777 and I.O Marine Records Misc 891.

بشكل أو بآخر على نطاق واسع ، بالتداخل مع مبيعاتهم فى الوطن ، التى هى لاستهلاك هذه الامبراطورية[١٦] . وأخيرا ، فإن الرسوم الباهظة التى تدفع من جانب هؤلاء التجار كانت تعتبر ـ من جانب (اينسلى)ـ عملا من أعمال خرق الامتيازات المقدسة» وقد تسبب تنظيما جديدا قد يتحول الى عرف[١٧] .

كانت العلاقات الدبلوماسية فى القرن الثامن عشر ، والمعاملات مع الدول الأجنبية تدار بواسطة الممثلين المعتمدين ، وفى حالات كثيرة كان هؤلاء الممثلين يعتبرون مسئولين شخصيا عن سلوك أبناء بلدهم .

بين مارس ويونيو ، تحدث تقارير (اينسلى) الى حكومة الوطن اللامبالاة التى كانت تقابل بها وأصبح لها تأثير إنذار شركة الهند الشرقية . ومع هذا فقد تحولت تقارير (اينسلى) الى عمل فحواه ارسال الأوامر الى مستعمرات الشركة فى الهند لمنع كل الرعايا البريطانيين من التجارة فى البحر الأحمر فى أى موانى عدا مينائى جدة (والمخا) . وتستطرد التقارير «لقد أنذرنا بأن تجارة ذات طبيعة كهذه قد تطول عواقبها ليست فقط الأمة البريطانية بالوقوع فى منازعات مع الباب العالى ، ولكنها (التجارة) قد تكون ضارة لتجارة شركة الهند الشرقية هنا .

وحقيقة أن الشركة لم تختبر الامكانيات والنتائج المحتملة لهذه التجارة المقترحة ، يثبت ان اتجاهاتها كانت متاثرة بتأملات (اينسلى) للموضوع . كانت أوامر الشركة تشير صراحة الى أنه «أيا من الشحنات ترسل من الهند من الآن فصاعدا ، وتستورد الى السويس ، سوف تصادر فى الحال[١٨] . ولكن نظرا لأن بعض السفن قد تكون قد غادرت الهند بالفعل الى السويس قبل أن

---

(16) S.p. 97.53, Ainslie to Weymouth, 18 March 1777.
(17) S.p. 97.54, Ainslie to Baldwin,27 January 1778.
(18) Marine Records Misc. 891, "Extract of Courts" General letter to Bengal: 4 July, 1777.

تصل أوامر مجلس المديرين السلطان هناك ، فقد أصدر (ويموث) أوامره الى (اينسلى) بأن يرجو الباب العالى ألا يتخذ أى اجراءات عدوانية ضد السفن البريطانية قبل مايو ١٧٧٨[١٩] . وفى نفس الوقت ، فقد طلب من (اينسلى) أن يؤمن لشركة الهند الشرقية امتياز ارسال الرسائل بين الهند وانجلترا عبر السويس . «إن هذه المسألة» يكتب (ويموث) ذات أهمية كبيرة للشركة لدرجة اننى يجب أن أوص بأكبر قدر من الدقة بأن تولوا الموضوع اهتمامكم[٢٠] . ومع نهايات سنة ١٧٧٧ وبدايات سنة ١٧٧٨ ، وفيما يخص مصر ، توجهت جهود (إينسلى) للحصول على موافقة الباب العالى على المطلبين السابقين للحكومة البريطانية . ومع هذا فإن عوامل معينة جعلت الباب العالى أكثر عداوة وأسهمت فى اضعاف المصالح البريطانية فى مصر (المؤمرات الفرنسية ، وتزايد التجارة الهندية الى السويس . وفى نفس الوقت فقد كان (بالدوين) قادرا على اقناع الشركة بأهمية الوكالة فى مصر .

كان (بالدوين) عميلا لشركة الهند الشرقية ووكيلا «لشركة الليفانت» كان عمله مبدئيا هو تسهيل نقل الإرساليات عبر مصر ، لكن هناك كل الأسباب التى تجعل الاعتقاد بأنه كان متورطا شخصيا فى «تجارة غير مشروعة» أمرا مقبولا . فى المقام الثالث ، فلقد حاول أن يطور التجارة بين انجلترا ومصر ، بالرغم من السلوك الإبتدائى «لشركة الليفانت» .

كانت هذه الشركة مخاملة ضد هذه التجارة منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر ، حيث أثبتت فشلها نظرا للأحوال السياسية غير المستقرة فى مصر . حاول (جون موراى)[٢١] فى بداية سنة ١٧٧٦ أن يؤسس قنصلية فى

---

(19) S.p. 97. 53 Weymouth to Ainslie, 11 July 1777.
(20) Ibid.
(21) S.p. 97.53, Ainslie to Baldwin,27 January 1778.

مصر ، وقد عورض ببساطة من جانب الشركة[٢٢] . ومع فشل فى هذا المسعى ، فقد ارسل خطابات إلى«دوغانير القاهرة»[*] انطون قسيس ، فحولا إياه حماية والعمل لصالح التجار الانجليز فى مصر[٢٣] . تنصلت الشركة من هذا العمل ، لكن «الدوغانير» بقى فى منصبه رافضا أن يوجه من أى جهة عدا السفير البريطانى . قد يبدو أن «انطون قسيس» قد حمل التجار الانجليز اعباءاً نقيلة ، حيث أن (بالدوين) كتب فى يناير ١٧٧٧ الى (ابنسلى) طالبا منه أن يكتب الى(الدوغانير)«سائلا إياه الايحصل أى رسوم أخرى من الرعايا البريطانيين[٢٤]» .

وفى يناير كرر (بالدوين) طلبه منكرا «الانطباع الوهمى الواضح» وعلى وجه التحديد استمالة تأسيس علاقات تجارية مواتية مع مصر[٢٥] . ولقد ساد أبعد من ذلك بطلبه الى «شركة الليفانت » أن تعينه قنصلا فى القاهرة[٢٦] . ولقد رفضت الشركة فى اجابتها هذا المطلب «لأنه ليس من مصلحتنا أن يكون لنا قنصل هناك»[٢٧] ، وهو تغير قد غذاه بلا شك (اينسلى) عندما كتب بسبب

(*) دوغانير القاهرة Doghanier of Cairo ولو أننى لم أصل الى معنى كلمة دوغانير ، الا أن حامل هذا اللقب كان (انطون قسيس) أحد الشوام الذين كانوا يسيطرون عليها فى عهد على بك الكبير (١٧٦٩ ـ ١٧٧٢) ومحمد ابو الذهب (١٧٧٢ ـ ١٧٧٥) . ويحتمل أن يكون اللقب مرتبط بشىء ما فى الادارة الجمركية فى ذلك الوقت (المترجم) .

(22) I.O.F.R., Egypt and the Red Sea,V., Baldwin to the Court of Directors, 19 February 1784.

(23) S.p. 97.53, Baldwin to Ainslie, 22 January 1777.

(24) Ibid.

(25) S.p. 97.53, Baldwin to Ainslie, 24 June 1777.

(26) S.p. 97.54, Ainslie to Baldwin, 27 January 1778.

(27) Ibid., Baldwin to Ainslie, 20 Febrary 1778.

الفتنة فى حكومة مصر التى تخطر عليهم أن يعينوا قنصلا تعريض أنفسهم لخسائر كبيرة بواسطة «الأڤانيز»[٢٨] .

تبدو التجارة البريطانية وقد كسبت القليل من جهود (بالدوين) . لقد أدعى سنة ١٧٧٨ بأنه فى خلال عامين فقد شحن خمسة عشر سفينة ، واستورد ما قيمته ٢٠,٠٠٠ جنيه من البضائع من لندن[٢٩] . لكنه وقد قدم حالة نجاح ، فإن تقرير «شركة الليڤانت» الصادر فى سنة ١٧٩٠ لا يتفق مع الصورة التى قدمها عن امكانيات الربح الناتج عن التوسع التجارى فى مصر[٣٠] . فلقد قرر هذا التقرير بأنه نصرا للأحوال المضطربة للبلاد ، وغياب الأمن للأرواح ، فإنه كان هناك القليل من التجارة المباشرة بين انجلترا ومصر . وباشر التجار الإنجليز فى (الليڤانت) نوعا من التجارة غير المباشرة ، عبر (ليچهورن) (وأزير) ، مع الإسكندرية . وتبعا (لبراون) Browne فإن استهلاك الجوخ الانجليزى فى مصل قبل ١٧٩٢ كان ٨٠٠ بالة فقط فى العام[٣١] . وتخدم الأرقام التالية المأخوذة من دفاتر الشركة فى بيان الإنحسار النسبى للتجارة البريطانية مع مصر[٣٢] .

---

(28) Ibid., Ainslie to Baldwin, 27 January 1778.

والأڤانيز Avani نوع من الأتاوات كانت حكومة القاهرة تفرضها على التجار الأجانب فى تلك الوقت .(المترجم) .

(29) I.O.F.R., "Egypt and the Red Sea",V., Speculation on the Situation and resources of Egypt and Baldwin political Recollecrions..Etc.,pp. 4-6.

(30) F.o. 78. Turkey II. Memorandum of the Lords of the Committee for Trade, October 19,1790 and in B.M. Add. Mss. 38394, pp.80 -97.

(31) Page 10.

(32) Sp., 105, 170 and 171.

السـنـة	عدد السفن التى دفع عنها رسوم	موانى الأصل
١٧٧٦	٢٤	١٥سـفـينة من أزمـيـر ـ ٥ من اسكندرون ـ ٢من سالونيكا ، ٢ من تركيا (لم يبين الميناء)
١٧٧٧	٢٢	١٦ من أزمير ـ ٣ من تركيا ـ ٢من اسكندرون ١من سالونيكا
١٧٨٣	٢١	١٨ من أزمير ـ ٢من سالونيكا ـ ١من اسكندرون وقبرص
١٧٩٠	٢٩	٢٢ من أزمـيـر ـ ٣من سـالونيكا ـ ٢من القسطنطينية ، ١من الإسكندرية ، ١من الاسكندرون

(فى الفترة ١٧٧٧ ــ ١٧٨٥ أدخلت سفينة واحدة فقط فى سجل الشركة) .

كـوكـيـل لشـركـة الـهـنـد الـشـرقـيـة فـقـد سـهـل بالدوين عـمـلـيـات نقل الارسـاليـات القـادمـة من الهـنـد بواسطة المـراكب الشـراعـيـة وحـيـدة الصـاوى (سلوب) فى يناير سنة ١٧٧٦[٣٣] ، وفى الافـراج عن المسـافـرين المحـتـجـزين والقـادمـين بالسـفن الشـراعـية (سـوالو سلوب)[٣٤] ، (دالريمبل ، كوبر ، دايتون). (Dralrymple, Copper, Dighton) فى يناير ١٧٧٧ ، فى ١٧ ابريل سنة ١٧٧٨ ، تلقى (بالدوين) أخبار غير رسـمية عن نشوب الأعمال العـدوانية بين فـرنسا وإنجلترا ، خلال حرب الإستقلال الأمريكية ، ودون تردد قام بإرسال هذه الأخبار على نفقـتـه الخـاصـة ، الى الهند حـيث وصلت قبل شـهـر من الخـبـر الرسـمـى (بالأعمال العدوانية) ، وهو عمل من الأعمال الحكيمة كان مسئولا بقدر كبير

(33) I.O.F.R., "Egypt and the Red Sea,"V., "Proceedingsat the Generai Quarterly Court of the E.I.C.", 26 March 1783.

(34) Ibid., Baldwin to the Proprietors of the E.I. Stock, 15 June 1783.

عن سقوط (بوند يشيرى) Pondichery[٣٥] . لقد أكدت هذه الحادثة بقوة أهمية وكالة الشركة فى مصر[٣٦] .

لم استطع أن أجد الجانب التفصيلى الذى لعبه (بالدوين) فى (التجارة غير المشروعة) ، لكن من المادة التى تحت يدى فإن حوادث سنة ١٧٧٩ تثبت أنه كان ضالعا فيها . ان (شارلرد) Charles Roux قاس نوعا ما على (بالدوين)[٣٧] . ليس هناك شك فى أن (بالدوين) نظر الى الأمر من زاوية المصلحة الوطنية . لقد كان واعيا لاحتمال أن تغتصب فرنسا مصر من «الامبراطورية العثمانية المتفسخة» من أجل أن تنافس انجلترا فى تجارة العالم أو الهند على الأقل . وأنه اذا كان مقدرا لهذا ان يحدث ، فانه (بالدوين) قد اعتقد بأن «انجلترا ستجعل ملكيتها للهند تحت رحمة فرنسا»[٣٨] . هنا نجد مثلا شاذا لإنجليزى من القرن الثامن عشر يدعو الى «وجود قسرى» لإنجلترا فى مصر . كان (بالدوين) يؤمن بأن «الباب العالى» ، لايستطيع أن يمنع التجارة الهندية طالما كان «البكوات» يشجعونها[٣٩] . على الجانب الآخر ، كان واعيا تماما لحقيقة أن هؤلاء البكوات لن يسمحوا لمثل هذا «الخط» المواصلاتى أن يفتح للشحنات فقط[٤٠] . فهؤلاء الركاب الذين لايحملون اوراقا تثبت هويتهم ، إذا لم يكونوا يثيرون شكوك البكوات بالنسبة لنياتهم ، لم يكونوا بالقطع

---

(35) I.O.F.R., Ibid., Communication with India...etc.

(36) Ibid., Proceedings of the General Quarterly Court of the E.I.C., 26 March 1783.

(37) Chrles Roux., op.cit.

(38) I.O.F.R., Ibid., Speculation on the situation and resources of Egypt by Baldwin, and Political Recollections ..., ect., pp. 4-6.

(39) Ibid., the Communicat with India...etc.by Baldwin.

(40) S.P. 97. 53 Baldwin to Ainslie, 22,January 1777.

يستحقون أن يزج بهم فى متاعب مع الباب العالى . لقد عبر «ابراهيم بك» لبالدوين عن دهشة كبيرة عن أن سفينة كبيرة تأتى الى السويس بهدف انزال ثلاثة ركاب فقط(٤١) . وفى الحقيقة فإنه كان صعبا اقناع مماليك القرن الثامن عشر المصريين بان التجار الإنجليز لايأتون من بلد «الماس» ويحملون ثروة معهم(٤٢) .

فى ١٧٧٨ كان مركز (بالدوين) يتدهور . أولا ، كانت الحرب بين انجلترا وفرنسا قد جعلت التجارة البريطانية فى الليڤانت مهمة محفوفة بالمخاطر . وجدول واحد عن كمية البضائع الهندية المصورة من انجلترا الى تركيا يبين هذا الإنحدار خلال الفترة(٤٣) .

السنة	بالة
١٧٧٤	١٤٥
١٧٧٥	٢٢٩
١٧٧٦	٣١٧
١٧٧٧	٢٦٤
١٧٧٨	٧٤
١٧٧٩	٤
١٧٨٠	٥
١٧٨١	٦
١٧٨٢	٥

(41) Ibid.
(42) Ibid.
(43) I.O.F.R., Ibid.,the Communication with India,.etc.by Baldwin.

ثانيا ، لم يكن (بالدوين) يحصل على راتب من شركة«الهند الشرقية» لدعم مؤسسته فى مصر(٤٤) . وفى الحقيقة فقد تلقى ٤١٤ جنيها فى السنة نظير خدماته ، و٦٠٠ جنيه فى ديسمبر ١٧٧٧النفقات غير اعتيادية(٤٥) . اشتكى (بالدوين) فى سبتمبر ١٧٧٧ وفى سنة ١٧٧٨ لمجلس المديرين ولكن دون جدوى ؛ وبالتبعية ، فان وضعه المالى ، وخاصة بعد المصروفات الهائلة لإرسال اخبار الحرب ، أصبح حرجا . فى يونيه صرح (بالدوين) للمجلس بأنه مالم يضمن له تسوية لنفقاته وتعويضا كافيا للنفقات غير المعتادة فإنه قد يستقيل(٤٦) . وقد اجابت الشركة بعرض خمسمائة جنيه عليه ، وهو مبلغ رآه غير مناسب بدرجة كبيرة(٤٧) ؛ وأثرت تطورات الحوادث فى سنة١٧٧٩ عليه ماليا .

لقد درست المصالح والمجهودات الفرنسية فى مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر جدا بمعرفة (م . شارلرو) M. Chrarles Roux فى عملية "Les Origines de L'Expedition Egyptienne".

" L'Histoire de l'Isthme et le Canal de Suez" و

وفندان قدم (ليبنتز) Leibnitz(*) مشروعه للويس الرابع عشر ، فان المشروعات الفرنسية لامتلاك مصر كانت محل اعتبار على الدوام ، وكانت مصر

---

(44) Ibid., the Humble Pettiton of G. Baldwin.
(45) Ibid., Proceedings of the General Quarterly Court of the E.I.C., 26 March 1783.
(46) Ibid., Extracts of Minutes of the Cout of Directors respecting Mr. Baldwin.
(47) Ibid.

* لايبنتز ، البارون جوتفريد ولهلم فون Baron Gottfried Wilhelm vonleibnitz (١٦٤٦ - ١٧١٦) . فيلسوف ورياضى المانى . قال بعدم التعارض بين الإيمان والعقل . ارسل الى باريس فى سنة ١٦٧٢ ليثنى لويس الرابع عشر عن مهاجمة المناطق الألمانية . اقترح حملة على مصر والليڤانت ، وبناء قناة عبر برزخ السويس . (المترجم)
Lexicon Universal Encyclopedia- Lexicon Publications, Inc. - Nowyork - 1983 - Vol. 12 - p., 276 .

داخلة فى قضية تقسيم الامبراطورية العثمانية ، وكانت اغلب هذه المشروعات التى جمعت بعناية من جانب (دجوڤارا) Djuvara تخصص مصر لفرنسا . وفى الحقيقة لقد كان تفكيك الامبراطورية العثمانية خلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، أكثر وضوحا فى الحقيقة .

جُعِل بلاط فرساى فى الصورة بشأن الجهود البريطانية فى مصر ، بواسطة القناصل الفرنسيين فى القاهرة ، فيما كان يسمى «تقاريرللملك» Ropports au Roi ، وكتب (ميور)Mure الى غرفة التجارة فى ١٥ مارس ١٧٧٦ لافتا انتباهها الى حقيقة ان «العمليات الإنجليزية فى هذا الجزء تستحق الكثير من انتباهنا ، وما إذا كانت يمكن أن تفتح سوقا فى مصر يثبت انه ذو أهمية كبيرة لهم ولنا[٤٨] . وفى اكتوبر ١٧٧٧ أكد القنصل (تيتبو) Taitbout بأن أكثر من عشرين سفينة انجليزية قد وصلت عبر السويس وحققت ربحا يزيد على ١٢٠٪ فى البضائع الهندية[٤٩] . وفى الحقيقة فإن هؤلاء القناصل كانوا واقعين تحت تأثير اعتقاد خاطئ مفاده ان الحكومة البريطانية عندها بعض الخطط بشأن مصر . وكان المعتقد أن موظفى «شركة الهند الشرقية» هم «مهندسون جغرافيون» يرسمون الخطط للمدن الكبيرة الرئيسية والخرائط للبحر الأحمر . . . منذ نشوب حرب الإستقلال الأمريكية . وربما كان هذا التصور الخاطئ هو المسئول عن الشائعة الشعبية التى مفادها سعى انجلترا لأن تجد فى مصر تعويضا لخسائرها فى أمريكا ، ويحتمل ان ملاحظة طائشة من (بالدوين) ، قد أثارت وحركت تقريرا صادرا عن قنصل فرنسى بأنه فى خلال أربعة سنوات لن تكون مصر ملكا للأتراك . ولم يكن هناك فى الحقيقة شئ يدعو للسخرية أكثر من المبادلات

---

(48) Arch. Aff. Correspondence consulaire.Alexandrie et le Caire; cited in Chrles - Roux, l'Isthme et le Canal de Suez, pp. 102 - 3.

(49) Ibid.

(50) Ibid.

الغاضبة بين الممثلين الفرنسيين والإنجليز فى مصر فى خصوص السياسات العليا لبلادهم كل فيما يخصه . كمن ضعف موقف (بالدوين) فى التباين بين سلوكه القوى ، وعدم المبالاة الصادر عن حكومة بلاده .

فى فرنسا كان هناك القليل من الناس الذين بقوا مخلصين لسياسة (شوازيل)Choiseul(*) فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر(٥١) . فى سنة ١٧٧١ كلف (البارون دى توت) Baron de Tott بمهمة هامة . كان قد خدم فى القسطنطينية أثناء الحرب الروسية التركية الأخيرة ، وبمجرد ما أن سمحت(معاهدة كينوردچى) (Kainordji) له بالعودة الى باريس ، قدم تقريرا لوزارة الخارجية فى سنة ١٧٧٦ عن الحالة السياسية فى تركيا(٥٢) . لم يحبذ (توت) سياسة التدخل الدبلوماسى أو الحربى لحساب الامبراطورية العثمانية حيث أن سقوطها (الدولة العثمانية) بدا حتميا . ولضمان مركز متفوق لفرنسا يعطيها القوة للمنافسة مع سادة القسطنطينية الجدد ، فإنه يجب الاستيلاء على مصر . اقترح عندئذ أن يقوم(البارون) برحلة ، ظاهريا لزيارة موانى الليڤانت ، لكن الغرض الحقيقى كان تحرى أحوال مصر . وصل (دى توت) الى الاسكندرية فى يونيو . وفى القاهرة ، وبعد سوء تفاهم مع بكوات مصر ، اعلن (دى توت) باسم ملك فرنسا نقل القنصلية العامة إلى الإسكندرية . ومع هذا ، فإن الفرنسيين لم يتركوا القاهرة كلية :« ان النجاح الإنجليزى فى الملاحة فى البحر الأحمر يلزمنا باتخاذهم نموذجاً .

* شوازيل ، ايتيان فرانسو Choisel, Etien e Francois, Duc de . إتيان فرانسوا ، دوق شوازيل (٢٨ يونيه ١٧١٩ - ٨ مايو ١٧٨٥م) . كان ضابطا بالجيش الفرنسى ، وسفيرا قديرا فى روما وڤيينا ، وأخيرا وزير خطيرا لدى الملك لويس الخامس عشر . عين أولا وزير للخارجية فى سنة ١٧٥٨ ، ثم تولى فى سنة ١٧٦١ وزارات الحرب والبحرية . قاد السياسة الخارجية لفرنسا لسنوات طويلة لكنه سقط فى ١٧٧٠ بعد انحيازه مع المعارضة البرلمانية ضد سياسة زميله وزير المالية (المترجم) .
- Lexicon Universl Enxyclopedia - Vol. 4-p.403.

(51) Charles Roux, Ibid., p.103.
(52) Ibid, p. 104.

"Le Succés de Anglais dans la navigation de la MerRouge doit nous in citer a suivre leur example."

إنه واقع كبير لنا لعدم هجر مؤسساتنا فى القاهرة مطلقا .

Il est un motif de plus pour ne abandonner absolument nos etablissement du Caire.

ذهب (دى توت) الى (أزمير) حيث رفع تقريره الى وزارة البحرية ، حاثا على فتح مصر . تناول التقرير الحالة الفعلية لمصر ، جغرافيتها ، تجارتها ، وأخيرا الفوائد الاقتصادية والسياسية التى تعود على فرنسا بفتحها مصر . اعتبر (دى توت) مصر مستعمرة نموذجية أرض الميعاد للاستعمار الفرنسى(٥٣) .

"La terre Promise de la Colonisation Francaise"

راقب (اينسلى) الجهو الفرنسية بجزع لم يخفيه(٥٤) . لكن مافشل فى إدراكه هو أن هذه التحركات كانت نتاج مشرعات أكثر طموحا من مجرد الحصول على التجارة الهندية عبر مصر . عقدت هذه المجهودات القضية برمتها وجهات المواصلات الهندية عبر مصر أمرا لايحتمل بالنسبة للباب العالى .

منذ اغسطس ١٧٧٧ ، سعى (اينسلى) للحصول على موافقة الباب العالى على نقل الارساليات ، والسماح للسفن البريطانية القادمة من الهند بأن ترسو فى السويس حتى نهاية سنة ١٧٧٨(٥٥) . قوبل المطلب الأول بالرفض النهائى .

(53) Ibid.
(54) S.p. 97. 53, Ainslie to weymouth 17 September 1777.
(55) Ibid, 3 September 1777 & Ibid Trcduzzione della porta, al Memoriale de sua Excellenza dattata 26 Agusta, 1777.

فى نهايات نوفمبر ، كان التصريح الذى حصل عليه (اينسلى) هو اقتراح قدمه الباب العالى بأن ترسل الإرساليات الى (جدة) على سفن انجليزية ، ومن هناك ترسل على سفن تركية الى السويس حيث ترسلهم السلطات إلى القاهرة[٥٦] . لكن قضية الإرساليات لم تتقدم أكثر من ذلك . وفيما يتعلق بالمطلب الثانى فإن (اينسلى) فى ديسمبر ١٧٧٧ ، استطاع أن يحصل على موافقة الباب العالى بعد تهديده للصدر الأعظم (Vizier) بإمكانية أن تهاجم السفن الإنجليزية السويس وسحق كل معارضة[٥٧] . وتبعا لذلك فقد ارسلت الأوامر لمصر للسماح للسفن الانجليزية بالقدوم الى السويس حتى ديسمبر سنة ١٧٧٨[٥٨] .

ومع هذا ، فإنه ما أن أعلن هذا التصريح حتى شكت السفن البريطانية القادمة بأعداد كبيرة إلى السويس والباب العالى مما سمياه «سوء استخدام التصريح»[٥٩] .

تطورت التجارة الهندية سريعا فى النصف الثانى من سنة ١٧٧٨ ويبدو أن هذا النمو قد حدث خارج حدود سيطرة كل من الباب العالى والشركة . كان (اينسلى) من ناحيته واعيا لتصميم الباب العالى على ايقاف التجارة بكل وسيلة ممكنة .«إننى اتمنى من كل قلبى بأن تطاع حرفيا أوامر شركة الهند الشرقية ، حيث أنها ستكون الوسيلة التى تمنع شكاوى وزراء السلطان» . كان

(56) I.O.F.R., Ibid, Grand Signior to Iinslie 30 Nov.1777& Marine Records Misc.891.

(57) S.p.97.53. Ainslie to Weymouth, 17 December 1777.

(58) Ibid, letter From the Grand Vizier Derendili Meher Pasha to the Governor of Cairo, 21 Dec. 1777 & I.O.F.R., Ibid & Marine Records Misc.891.

(59) S.p. 97. 54, Ainslie to weymouth 4 May 1778 & Ibid Ainslie to Weymoutth, 3 August 1778.

هذا هو ما كتبه (اينسلى) الى حكومته فى ٣ اغسطس سنة ١٧٧٨[٦٠] . وجعل (بالدوين) وكيلا له فى مصر بعد أن اعطاه الأوامر بالاقناع عن تشجيع إبحار السفن البريطانية فى السويس[٦١] . وفوق هذا فقد طلب من الباب العالى أن يمد حظره الى أعلام كل القوى المسيحية[٦٢] . بل انه حاول أن يحث الباب العالى أن يخفض الرسوم على البضائع المستوردة من الهند إلى البصرة ، وتسهيل النقل من هناك الى (حلب)من أجل تثبيط الملاحة الى السويس ، لكنه سرعان مانبذ الفكرة «حيث انها قد تحدث نقطة تنافر بين الشركتين» (الهندية الشرقية) و(الليفانت)[٦٣] . وفى الرابع من يناير سنة ١٧٧٩ كتب الى (مجلس المديرين) إننى لا استطيع تحديد الى أى مدى سيلتزم البكوات الحاكمين بالسياسة الجيدة ، لكننى مؤمن بأن هذا المجلس مصمم على اعتراض الملاحة للسفن المسيحية فى البحر الأحمر فيما وراء (جدة) و(المخا) . لكن من الواضح ان التجارة استمرت بعد ديسمبر ١٧٧٨ .

هل كان (بالدوين) مسئولا عن ذلك؟ والاجابة هى بالقطع بالإيجاب . لم يكن (بالدوين) مقتنعا فقط بأن (الباب العالى) لايملك القوة لينفذ (المنع)«للتجارة غير المشروعة» طالما كان البكوات كانوا يدعمونها ، ولكنه علم ايضا أن أوامر «مجلس المديرين» لن تطاع ، حيث أن كثيرا من المستخدمين ، حتى رؤساء كل إدارة فى حكومة (البنغال) ، كل كان له مصلحة مباشرة فيها (التجارة غير المشروعة) باعتبارها الوسيلة الوحيدة الباقية لهم لنقل ثرواتهم التى حصلوا عليها الى أوروبا[٦٤] . هنا نجد بداية سوء التفاهم

(60) S.p. 97. 54, Ainslie to weymouth, 3 August 1778.
(61) S.p. 97. 55, Ainslie to Baldwin, 26 February 1779.
(62) Ibid, Ainslie to the Court of Directors 4 June 1779.
(63) Ibid, Ainslie to Weymouth, 18 A June 1779.
(64) S.p. 97. 54, Baldwin to Ainslie, 20 June 1778.

بين (اينسلى) و(بالدوين) حيث أن دفاع الأخير عن (هذه) التجارة قد استفز هواجس الأول . شك (اينسلى) فى ان التجار المتورطين فى هذه التجارة ، أو «عصبة المغامرين» كما سماهم ، كانوا يتعاونون مع الفرنسيين لإشراك اغنياء (البنغال) للدخول فى مشروعاتهم[٦٥] . وأنهم كانوا يتسخدمون دعم السفير الفرنسى فى القسطنطينية[٦٦] .

فى ١٧ ديسمبر سنة ١٧٧٨ ألمح (الباب العالى) إلى (اينسلى) بأنه حيث أن السنة قد قاربت على الإنتهاء ، فان السفن البريطانية فى السويس ستعامل بدءاً من يناير ١٧٧٩ سواء ترفع اعلاما انجليزية ، أو أعلام أى قوى أخرى ، ستعامل «كثوار وقراصنة» وستصادر بضائعهم لمصلحة (الميرى)[٦٧] . وبعد أيام قليلة نقل الباب العالى الى مصر «الخط الشريف» السئ السمعة الذى منح سلطة مصادرة البضائع وسجن طواقم السفن[٦٨] . ولضمان تنفيذ أوامره ، نقل «الباب العالى» (اسماعيل) باشا مصر ، الى (باشوية جدة) (لمجرد أنه لم يستطع الحصول على مصادرة السفن والشحنات التى وصلت مؤخرا من الهند الى السويس من البكوات[٦٩] . وعين (ابراهيم باشا) بدلا منه «رجل ذو تصميم عظيم ، ويمكن توقع اتيانه بنجاحات كبيرة»[٧٠] . ويبدو أن(الباشا) كان قادرا على حث العرب قرب السويس والطور على التعاون عن طريق نهب القوافل البريطانية فى طريقها الى القاهرة ، ولم يتردد المماليك فى مثل هذه الحالات فى اخذ نصيبهم من المنهوبات .

---

(65) S.p. 97. 54, Ainslie to weymouth ,17 December 1778.
(66) Ibid.
(67) Ibid.
(68) I.O.F.R., Ibid., Hatti Sherif addressed to the Government of Egypt and F.o. 78 Turkey I and Baldwin's polit. Rec. p.p. 12- 13.
(69) S.p. 97. 54, Ainslie to weymouth, 17 December 1778.
(70) S.p. 97. 55, Ainslie to weymouth, 17 July 1779.

أنذر احتجاز الكابتينين (سكوت) Scott و(ميلز) Mills وكلاهما من الضباط العسكريين ، فى ابريل ١٧٧٩ ، أنذر بإجراءات أكثر خطورة(٧١) . فى مايو وصلت (السفينة) (سانتا هيلينا) الى السويس تحت العلم الدنماركى مع خطابات توصية الى (بك) القاهرة من (دارين هاستنجز) ، ووصلت البضائع الى القاهرة بسلام . وبعد أسابيع قليلة (٢٤مايو) وصلت السفينة الدنماركية (ناتالى) من الهند ، وسمح لها بإفراغ شحنتها ، لكن القافلة البريطانية المصحوبة بقافلة (للبك)(٧٢) ، والتى كانت قد ارسلت لحماية البريطانيين فى طريقهم الى القاهرة هوجمت فجأة فى ١٩ يونيو ، بواسطة كل من المماليك والعرب . عاد (أودونيل) O'Donnell وكابتن (واوج) Wough الى السويس ، لكن الباقين من القافلة التى حاولت التقدم الى القاهرة ، لم يقبض لأحد منهم أى يعيش فيما عدا من يدعى (سانت جرمان)St. Germaine(٧٣) . ومع ذلك فإن (أودونيل) غامر فيما بعد بالذهاب الى القاهرة وقدم مذكرة الى (ابراهيم بك) فى ١٨ يوليو طالب الحفاظ على بضائعه التى كانت تباع علنا فى(السويس)(٧٤) . فى رده وعد(البك) بإرسال جيش لاسترداد «اكبر قدر من البضائع» وإذا لم تبق وسيلة لاستردادها ، سوف تتلقى الترضية الكافية بوسائل أخرى ، أو ستخصص رسوم البضائع من الهند فى المستقبل لموازنة العجز(٧٥) . لكن الوعد استتبع بالقبض على السفن فى السويس ، احتجاز كل الممتلكات الانجليزية ، القبض على كل الرجال الانجليز ، ونشر إنذار بقتل الانجليز فى القاهرة(٧٦) .

---

(71) S.p. 97. 55, Baldwin to Ainslie, 30 April 1779.
(72) Ibid. Baldwin to Ainslie, 30 July 1779.
(73) Ibid.John O'Donnell to Ainslie, 5 Augst 1779.
(74) S.p. 97. 55 O'Donnell to Ibrahim Bey, 18July 1779 and I.O.F.R.5 Ibid.
(75) S.p. 97. 55 Ibrahim Bey to O'Donnell, 27 July 1779 .
(76) S.p. 97. 55, Baldwin and Skiddy to Ainslie, 13 Augst 1779.

نقلت انباء الحادث الى (اينسلى)فى الخامس من يوليو بواسطة وكيله فى الإسكندرية ، (السنيور براندى) Sig. Brandi[٧٧] ، وتأكدت بواسطة(بالدوين) فى ٣٠ من نفس الشهر[٧٨] . وضع هذا الأمر (اينسلى) فى موقف حرج للغاية ، لأنه كان قد واف على حظر (التجارة) بالقوة . وفوق هذا ، فإن (الباب العالى) لم يكن يستطيع أن يتخيل او يفهم «اى اسباب تدعو سفيرا انجليزيا بالتظاهر للعمل فى دعم الملكية الدنماركية ، فى حال قدرة الوكيل الدنماركى وحده الذى يستطيع التدخل[٧٩] . ومع هذا ، فان الوكيل الدنماركى رفض أن يتدخل .

وأخيراً فإنه «بصعوبة شديدة ومتاعب وفى الواقع بقوة الإلحاح» نجح (اينسلى) فى حث (الباب العالى) على أن يأمر حكومة مصر بالإفراج عن التجار الانجليز مع بضاعتهم[٨٠] . قبل أن يصل هذا الأمر الى القاهرة ، تبعا لاتفاق بين البكوات والتجار الانجليز ومن خلال وساطة البيوت التجارية الفرنسية والبندقية ، فإن السلطات فى مصر اطلقت سراح التجار وحفظت لهم سفنهم باطقمها وأعادت الى (مور) Moore تجارته[٨١] . أُخِذَت إقرارات كتابية على التجار بألا يطالبوا فى المستقبل بتعويضات عن أضرار لحقت بهم ، أو أن يتورطوا فى أى عمل عداونى ضد مصر ، أو حتى أن يحتجوا إلى الباب العالى[٨٢] . إحتجز (بالدوين) وشخص آخر يدعى (سكيدى) Skiddy كرهائن لضمان تنفيذ الإتفاق[٨٣] . عندما نفذ صبر (بالدوين) انتظار القرار (الباب

(77) S.p. 97. 55, Brandi to Ainslie, 5 July 1779, and I.O.F.R. Ibid.
(78) Ibid.
(79) S.p. 97. 55, Ainslie to Baldwin, 30 September 1779.
(80) Ibid. and I.O.F.R., "Acommand From the Porte to the Basho of Egypt, the Judge and the Sheikh El Balad", 30 September 1779.
(81) S.p. 97.55, Brandi to Ainslie , 25 August 1779.
(82) S.p. 97.55, Baldwin and Skiddy to Ainslie , 31 August 1779.
(83) Ibid.

العالى) عمد إلى الهرب من مصر على سفينة فرنسية متوجهة إلى أزمير[٨٤]. وبينما كان فى رحلته هذه، وصلت أوامر الباب العالى، لكن السلطات فى القاهرة رفضت الإفراج عن (سكيدى) نظر الهروب (بالدوين) ومهاجمة السفن الإنجليزية التى أفرج عنها للتجار المسلمين فى البحر الأحمر[٨٥]. وعلى أى حال، فبعد اجتماع مع (الريس أفندى)* ، حصل (اينسلى) على أمر آخر يضمن إطلاق سراح (سكيدى)[٨٦].

من الواضح أن المؤامرة قد نفذت بواسطة (الباشا)والعرب . اما البكوات، فرغم أن مثل هذا العمل كان يمس أتفاقا تاريخيا استفادواهم شخصيا منه، فأنه كان من الصعب عليهم أن يقاوموا، مع هذا غريزة السلب . ويكتب (بالدوين) عن هذا الموضوع فيقرر (لأناس جاهلين بالسياسة المصرية يبدو الأمر متناقضا . ولكنه مع هذا أيضا صحيح فإن حكمتهمن هو الاستفادة من الفرصة السانحة، وإن غنيمة قيمتها اكثر من نصف مليون دولار كانت اغراراً اقوى من أن يتحمل امام منظر مقارن لخسائر مستقبلية[٨٧]. لقد كانت ضربة مميتة لهؤلاء التجار، حيث بلغت خسائرهم ١٢٠,٠٠٠جنيه[٨٨]، وكانت خسائر (أودونيل) وحدها١٥٠,٠٠٠ دولار تقريبا[٨٩]. خسر حاملو الأسهم فى (البنغال) أيضا .

---

(84) S.p. 97.55, Baldwin to Ainslie , 24 November 1779.

(85) Ibid. Ainslie to Weymouth, 3 December 1779.

* إسم قديم لوزير الخارجية فى الدولة العثمانية . المترجم .

(86) Ibid.

(87) S.P. 97.55. Baldwin Narrative of Facts to the Plunder of the English merchants by the Arabs and other subsequent outrages of the Government of Cairo in the Coarse of the year 1779.

(88) S.p. 97.55, and I.O.F.R., Ibid O'Donnell to Ibrahim Bey, 18 July, 1779.

(89) S.p. 97.55, Ainslie to Weymouth , 17 August 1779.

اقنعت هذه الحادثة (هاستنجز) عن تصميم (الباب العالى) على معارضة التجارة وبالتبعية قد سحب تأييده . أما (الباب العالى) فقد عبر عن رضائه عن النتائج ، بتأكيد تبين (اسماعيل باشا) فى حكومة مصر فى مقابلة محاولته الناجحة لاعتراض التجارة بين (الهند) والسويس ، والإشراك العرب فى نهب القافلة[٩٠] .

إتهم (بالدوين) التاجر البندقى (كارلوروزيتى) Carlo Rosetti بضلوعه فى نهب القافلة البريطانية[٩١] . ولكن بالنظر لحقيقتين ، على وجه التحديد ، أن (روسيتى) كان قد اقترح مشروع التجارة الهندية (لعلى بك) ، والحقيقة الثانية هى أن المسافرين البريطانيين فى مصر ، كانوا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تحت حماية (روزيتى) ، بالنظر لهاتين الحقيقتين فان إدعاء (بالدوين) لايمكن قبوله دون تحفظ[٩٢] . يحدد وصول (بالدوين) الى القسطنطينية فى بدايات سنة ١٧٨٠ بداية فترة من الاتهامات المتبادلة مدتها خمسة أشهر بينه وبين (اينسلى) اتهم بالدوين(اينسلى) بتسليم الرعايا البريطانيين للقضاء التركى ، واعتبر هذا «انكارا لأغلى امتيازاتنا المترتبة على «الإمتيازات»[٩٣] . وفى الواقع فإن (بالدوين) أمل بهذه الهجمات ، ان يحث (اينسلى) على الاحتجاج لدى (الباب العالى) ، إما بسؤاله لتعويض مالى أو الفتح القانونى للطريق وقد سعى من خلال هذه الطريقة الى تعويض نفسه وشركائه عن خسائرهم[٩٤] . ومع هذا فإن شيئا لم يتحقق ، فقد كان (اينسلى)

---

(90) S.p. 97.55, Ainslie to Weymouth , 18 October 1779.
(91) S.p. 97.55, Narrative of Facts.. etc.
(92) Rooke. H.P. 103- 4.
(93) F.O. 78, Turkey I. Baldwin to the Cancellana, 23 February 1780.
(94) Ibid. Ainslie to Hillsbrough, 3 March 1780.

مشغولا بالإبلاغ عن تعليمات الملاحة للسفن الحربية والسفن المتاجرة فى البحار العثمانية ، وهو أمر فى غاية الأهمية حيث كانت انجلترا فى حرب مع فرنسا[٩٥] . اعتقد (اينسلى) انه من الكافى أن يدافع عن نفسه امام حكومته ، وأن يتهم (بالدوين) بالتعاون مع السفير الفرنسى[٩٦] .ولابد أن هجوم (بالدوين) كان عنيفا ، حيث أن (اينسلى) كتب الى (هيلزبورو) Hillsbrough ان بالدوين(رجل سبب للمشاكل ويائس)[٩٧] . وفى ٤ أبريل كتب ثانية «هل يسمح لى ، سيدى اللورد ، فإن أقول أن عدلكم الى جانب عواطفكم الخيرية ميالة الى تأييد قضيتى ضد خطط ومكائد هذا الرجل الردئ»[٩٨] . ومع هذا فان الأزمة يبدو أنها انتهت عندما كتب وزير الخارجية الى (اينسلى) انه « كان سعيدا ليجد ان الاضطراب والغيظ الذى لاقيته من السلوك غير المعتاد لمستر بالدوين قد انتهى» . ويبدو ان سلوكك فى الأمر كله كان ملائما[٩٩] .

كانت المحاولة الفاشلة الأخيرة خلال هذه الفترة لإعادة فتح طريق الرسائل والشحنات عبر مصر ، هى التى قام بها (سيرتوماس رامبولد)Thomas Rambold ، حاكم (مدراس) Madras ، (وسير ادوارد هيوز) Edward Hughes الأدميرال فى البحرية الهندية . ففى حوالى منتصف سنة ١٧٨٠ أرسل هذين الرجلين الكابتن(وولى) Wooley برسائل الى انجلترا عبر السويس ، مصحوبة بثلاثة خطابات ، واحد من (رامبولد) الى (ابراهيم بك)[١٠٠] ، والآخران من سير

(95) Ibid. Ainslie to Hillsbrough in February and March 1780.
(96) Ibid, 3 March 1780.
(97) Ibid.
(98) 4 April, 1780.
(99) Hillsbrough to Ainslie 27 March 1780.
(100) Ibid.

(ادوارد هيوز) الى باشا مصر ، وشريف مكة[١٠١] . كانت سفينة البريد التى يستقلها الكابتن (وولى) مصحوبة بالفرقاطة (كوفنترى) Coventry . كانت الخطابات بصفة عامة تحمل مضمونا مفاده ان السلطات الهندية قد وافقت على حظر التجارة الإنجليزية فيما وراء (جدة) . وفوق هذا فقد وعد (سير ادوارد هيوز) بأن يرسل (سفن صاحب الجلالة الحربية) لمنع سفن التجار البريطانيين من ملامسة السويس . لكن كلا من (رامبولد) و(هيوز) اقترحا اعادة فتح الطريق للرسائل فقط . يحتمل ان الرياح المعاكسة قد اضطرت (وولى) للرسو فى (القصير)[١٠٢] ،(وهو ميناء صغير جنوب السويس) ، حيث تم اعتقاله وأرسل الى القاهرة ، بنتيجة مفادها اطلاق الفرقاطة (كوفنترى)نيرانها على (القصير) محدثة دمارا كبيرا[١٠٣] . وقد ابلغ (براون) Browne الذى زار المكان فيما بعد سنة ١٧٩٤ ، ان المشاعر المضادة للبريطانيين كانت فى أوجها[١٠٤] . أرُسِلَ (وولى) بمعرفة الباشا الى القسطنطينية حيث كانت المشاعر الوراثية للباب العالى عالية ليس فقط بسبب قصف(القصير) ، ولكن أيضا بسبب الإجراءات التى اتخذتها السلطات البريطانية فى الهند «لانتهاك حقوق جلالته»(السلطان) بالتباحث مع والعمل من خلال رعايه الثائرين (البكوات)[١٠٥] ، وهى السياسة التى اتت ثمارها فى معاهدة ١٧٧٥ . وعد (اينسلى) بنقل شكاوى (الباب العالى) الى بلاط بلاده ، مبررا الحادث بأنه كان خطأً ارتكبه الأدميرال المعين حديثا كأدميرال (للبحار الهندية) ،

---

(101) Ibid.
(102) Ibid.Wooley to Ainslie and the Pasha of Egypt, 26 Augst 1780.
(103) Capper, J.P.8.
(104) P. 36.
(105) F.O. 78, Turkey I. Ainslie to Hillsbrough , 17 Augst 1780.

وضمن الإفراج عن (وولى) فى اغسطس مقابل فدية قدرها ١٥٠ جنيها[١٠٦] . كان السياق الناجم عن هذا الفشل الأخير لتأمين إعادة «فتح الطريق» هو انسحاب التجار البريطانيين من القاهرة . استقر من يدعى (ريتشارد هيوز ichard Hughes) هناك فى بداية سنة ١٧٨٠ بهدف الحلول محل (بالدوين) فى وكالة الشركة ففى مصر ، ولكن رغم انه بقى فى القاهرة لمدة سنتين فان الشركة رفضت الاعتراف بوضعه[١٠٧] ، شهدت السنوات ١٧٨٠ و ١٧٨١ الهزيمة التامة للمصالح البريطانية فى مصر . جعلت التطورات التى حثت بين ١٧٨٢ ـ ١٧٨٤ فيما يخص الطريق البرى ، جعلت من مصر مطلبا مجددا ، وربما رمزت كعلامة تحول فى السياسة البريطانية تجاه هذا البلد .

---

(106) Ibid. Ainslie to Grand Signior, 30 Augst 1780.

(107) I.O.F.R. Ibid, Hughes to the Court of Directors, 15 March 1781 and 3 September 1782.

الفصل الرابع

التنافس الدولى للتجارة عبر السويس

خلال ١٧٨٠ ـ ١٧٨٢ حاول السير (ى . إينسلى) معتمدا على صداقته (بسليمان باشا) حاكم بغداد ، أن يطور طريق البصرة[1] . وكانت انباء انتشاب القتال مع هولندا قد ارسلت الى الهند عبر هذا الطريق . وفوق هذا فإن المكائد الفرنسية فى(مارس)والمتضمنة جزئيا طريق البصرة وجهت الإهتمام البريطانى من مصر الى (فارس)[2] . ومع هذا فان هذه القصة هى خلفية هذا العمل .

بينما كانت انجلترا وفرنسا مشغولتان بالتنافس حول الشؤون الفارسية ، انتهزت النمسا الفرصة لتتضمن فى التجارة الهندية الى (الليڤانت) عبر مصر . اقترح (البارون هربرت) Herbert المبعوث الإمبراطورى[*] ، على الإمبراطور انشاء قنصلية فى القاهرة ، فى وقت كان الفرنسيون ، البريطانيون والبنادقة قد سُحِبوا . وتبعا لذلك فإن رئيس الجمارك Grand Customs Master (انطون قسيس) Anton Cassis جعل قنصلا للنمسا[3] ، وأعطى الحق فى الاتصال بالإمبراطور مباشرة ، جُذِب (كارلو روزيتى) Carlo Rosetti الى المشروع لاستخدام نفوذه مع البكوات[4] . ولقد تورط المبعوث الإمبراطورى أيضا فى (التجارة) وكانت ارباحه المتوقعة تربو على ٥٠,٠٠٠جنيه[5] ، واقترح أن يزور (البارون وايزنبرج) Weisenburg رئيس بلدية (سباير) Spire ، الإسكندرية

---

(1) F.O. 78, Turkey 3, Ainslie's Correspondence with Suliman Pasha.
(2) Ibid., Ainslie to Hillsbrough, 25 February 1782.

(*) المصطلح المستخدم هو Internuncio إنترنونسيو ، وهو يعنى وزيربابوى من طبقة اقل من Nuncio التى تعنى الممثل الدبلوماسى البابوى ، لكن المؤلف اضاف كلمة Imperial ، فاعتبرت المعنى هو المبعوث الإمبراطورى (المترجم) .

(3) Ibid., Aletter from Alexandria to Ainslie , 15 June 1782.
(4) Ibid., Richard lee to Ainslie , 3 August 1782.
(5) Ibid., Ainslie to Lord Grantham , 26 August 1782.

ليتحرى الإمكانيات المربحة للتجارة[٦] . كان المشروع يقضى فى شكله النهائى بإحضار التجارة الهندية بواسطة السويس الى (تريستا) Trieste ، حيث ينشئ (بنك) هناك لإدارتها[٧] . وقد قيل ان فرمانا أرسل الى مصر ، من خلال النفوذ النمساوى فى القسطنطينية ، كان الباب العالى مسئولا بمقتضاه عن كل الخسائر التى قد تلحق بالرعايا النمساويين الضالعين فى هذه التجارة[٨] .

ويبدو أن المشروع قد لاقى نجاحا ، ذلك أنه أعلن فى شتاء ١٧٨٢ فى القاهرة عن إبحار العديد من السفن الامبراطورية من (تريستا) و (ليجهورن)Leghorn الى جزر الهند الشرقية لإحضار البضائع الهندية الى السويس[٩] . لايبدو أن (اينسلى) كان مدركا للجهود النمساوية ؛ وقد جادل بأن الباب العالى لايمكن أن يجيز «المناورات التى تميل بوضوح الى تأكيد الثورة المطلقة لمصر»[١٠] . وتدريجيا ، مع هذا ، فقد أصبح متشككا فى دعم الباب العالى للمشروع ، وعندما اتصل القنصل البريطانى فى (حلب) Aleppo فى ديسمبر ١٧٨٢ (بإينسلى) لعرض مشروع مضاد للمشروع النمساوى ، فإنه مرره فى الحال إلى حكومته . ويبدو فى الحقيقة أن (اينسلى) كان ميالا للموافقة فى النهاية على سلك السلطات الهندية تجاه مصر ، وهو مسلك كان حتى ذلك اليوم هدف نقده الحاد .

(6) Ibid.
(7) Ibid., lee to Ainslie , 31December 1782.
(8) Ibid., Aletter from Alexandria to Ainslie , 15 June 1782.
(9) Ibid., lee to Ainslie , 31December 1782.
(10) Ibid., Ainslie to Grantham , 26 August 1782.

كان مشروع (لى) Lee مؤسسا على حقيقة انه لما كان الباب العالى ، الذى ربما كان قد استجاب للمشروع النمساوى ، لا يملك سوى نفوذ قافة فى مصر ، فإن كل التجارة لايمكن أن تجرى دون دعم البكوات . فإنهم ، بناءاً على ذلك ، يجب أن يُستمالوا لتدبر المشروع برمته . قال (لى)« إننى افهم ان الباب العالى قد أصدر أوامر مقبولة لإجراء هذه التجارة أو التى لم تكن مفاجاءة لى ، لأن نفوذه ضعيف للغاية فى مصر ، وأنه يمكن (لروزيتى) Rosetti ومدير الجمارك أن ينفذا مشروعاتهما سواء صدرت أوامر من الباب العالى أو لم تصدر ، هذا فيما عدا البكوات الذى قد يكونوا نافرين ضدهما الى درجة تعريض روحيهما للخطر ، ويفرض عليهما الهرب من البلاد ، وهذه هى الوسيلة الفعالة لتعطيل مشروعهم ، الذى يعد نجاحه مؤذ للمصالح الإنجليزية ولشركة الهند الشرقية على وجه الخصوص . ان شراء واستبداد مدير الجمارك يخلق أعداء كثيرين فى مصر ، حتى انه مقابل بعض المال يمكن خلعه (وروزيتى) من مصر . فإذا أمكن تنفيذ ذلك مقابل ١٥ أو ٢٠٠٠٠ جنيه فإن الصفقة يمكن أن تعد رخيصة للغاية لشركة الهند الشرفية ، التى ستعانى بدرجة كبيرة لو نجح مشروع وخطط روزيتى[١١] . على أى حال فان الجزع البريطانى لم يدم طويلا . ففى يناير ١٧٨٤ أذيع أن (انطون قسيس) قد ترك مصر فجأة ، وهى حقيقة ايقظت اشاعات كثيرة[١٢] . فى ١٢ مايو ابلغ (براندى)Brandi (اينسلى) ان وجهة (قسيس) كانت المانيا حيث قرر أن يعيش فى وحدة مع ثروته ومصيره[١٣] . يبدو رحيل (انطون قسيس) غامضا كادعاء (هوسكنز) Hoskins ؛ لكن ليس هناك سبب يجيب على تساؤلنا : لماذا لا نقبل تفسير (إينسلى) بأن

(11) Ibid., lee to Ainslie , 1782.
(12) F.O. 78, Turkey 5,Brandi to Ainslie, January 1748 (Italian Text)
(13) Ibid., 12 May (Italian Text).

فشل المشروع النمساوى ، كان نتيجة لمؤامرة الفرنسيين ، الذين كانوا قادرين على كسب (مراد بك) أحد الحاكمين الفعليين الى جانبهم[١٤] . إن تفاصيل هذه المؤامرات بالقطع غامضة الى حد ما.

مالت معاهدة (ڤرساى) Versailles (سبتمبر ١٧٨٣) إلى ممارسة بعض النفوذ على المشروعات الفرنسية فى شرقى المتوسط ، رغم انها قللت بصعوبة من المشاعر العدوانية بين (القوتين العظميين)[١٥] . صوب الفرنسيون انظارهم نحو التوسع التجارى فى كل من البحر المتوسط وجزء الهند الشرقية .

تكشف الجهود الفرنسية خلال هذه الفترة عن حقيقتيين هامتين . فى المقام الأول ، فان فرنسا تنازلت عن فكرة غزو البلاد (لأن هذا لم يكن يلائم السياسة الهادئة لڤيرچينز) Lvergennes فى مقابل فتح الطريق البرى لمصر لتطوير المواصلات التجارية بين فرنسا وجزء الهند الشرقية . وفى المقام الثانى ، فإن فرنسا عدلت سياستها المتمثلة فى استخدام نفوذها فى(القسطنطينية) لفتح الطريق ، الى التباحث المباشر مع البكوات الحاكمين . ورغم ان فرنسا كانت البلد الأوروبى الأول منذ الفتح العثمانى لمصر ، الذى يحصل على نفوذ كبير فى مصر ، فإنه مع هذا صحيح ان سياستها الجديدة كانت تقليدا حرفيا لسياسة السلطات البريطانية فى الهند سنة ١٧٧٥ ، ولسياسة النمساويين فى سنة ١٧٨٢ بالنسبة لمصر .

فى سنة ١٧٨٣ أرسل (ڤيرچينز) تعليمات الى (شوازيل چوڤير)Choiseul - Gouffier السفير الفرنسى الجديد فى القسطنطينية للحصول على موافقة الباب العالى لفرنسا على فتح السويس للسفن الفرنسية[١٦] .

(14) F.O. 78, Turkey 6, Ainslie to Carmarthen , 9 July1785 .
(15) Charles - Roux, L'Angleterre.. etc.,p.166 .
(16) Charles - Roux, L'Isthme et le Canal desuez, pp. 109 - 111.

ورغم أن النفوذ الفرنسى كان راجحا ، فإنه من غير المحتمل أن يكون (شوازيل) قد نجح فى الحصول على هذه الموافقة التى ربما ، مع ذلك ، لم يكن لها تأثير كبير فى مصر[١٧] . وفيما بعد فى سنة ١٧٨٤ نجح (شوازيل) فى الحصول على مذكرة صداقة الى بكوات مصر ، من (قبطان باشا)(قائد الأسطول العثمانى) فى صالح التجار الفرنسيين فى مصر[١٨] . وبهذه المذكرة أُرسِل (الشيڤالير تروجوت) Chevalier Truguet الى القاهرة ليفتح المباحثات مع البكوات لمعاهدة تجارية[١٩] . كان (تروجوت) مدعوما بزميل (شارلز ماجاللون) Charles Magallon الذى كان قد أقام فى القاهرة زهاء عشرين عاما ونجح فى استثمار صداقته للبكوات[٢٠] . ومع هذا فإن هذه السنوات الإثنتان وعشرون كان مردودهما قليل فى التباحث من أجل معاهدة مع البكوات ، لكن الحقيقة ان الفضل فى إبرامها يرجع الى ان (مدام ماجاللون) Mme.Magallon التى كانت فى خدمة الزوجة الرئيسية (لمراد بك) وبقيت على علاقات طيبة معها[٢١] . وباختصار فإنه فى بواكير سنة ١٧٨٥ أبرم (تروجوت) المعاهدة[٢٢] .

---

(17) F.O. 78, Turkey 6. Ainslie to Carmarthen , 10 March 1789 .

(18) Charles - Roux, Les Origine.. etc.,p.148.

(19) Ibid., L'Angletterre.. etc.,p.171 .

(20) Ibid.

(21) Charles - Roux, L'Angleterre.. etc.,p.171;Listhme et le Canal de Suez, p. 110; Les Origines..., etc.,p. 149 .

(22) F.O. 78, Turkey 6, and I.O.F.R. "Egypt and the Red Sea" V. "Covention between the Court of France and the Government of Egypt," ect. 7 February and Baron de Testa. Recueil destraites de la Port Ottomane and Charles - Roux, L'Isthme et le Canal de Suez, Annexe 6. The English Copy mentioned the date as 7February, While Charles - Roux and Baron de Testa gave 9 February. Hoskins Consulted the English one.

لايعنينا الكثير من تفاصيل هذه المعاهدة ، ومع هذا ، فإن هناك مظهران هامان يلفتان الإنتباه فيها . أولا ، أنها ضمنت للقنصل الفرنسى والرعايا الفرنسيين مزايا وامتيازات تفوق ما كان لأى أمه» . ثانيا أن الرسوم كانت مقبولة عن تلك التى اتفق عليها فى معاهدة (محمد ابو الذهب) ـ هاستنجز : كان على الفرنسيين أن يدفعوا ٤٪ الى الباشا و٢٪ للأمير (مراد بك) . ومن أجل اخفاء شكل من الانتظام للمعاهدة ، فقد اشترط أن تبقى المعاهدة نافذة حتى وصول الخط الشريف) من الباب العالى للعلم بها . نجح (تدوجوت) فى أن يبرم اتفاقين آخرين ، واحد مع الشيخ (ناصر شديد) ، لتشغيل قافلة الجمال أثناء عبور الصحراء بين القاهرة والسويس ، والآخر مع مدير جمارك القاهرة والاسكندرية[٢٣] ، (چوزيف قسيس)Joseph Cassis الذى خلف(انطون قسيس) فى سنة ١٧٨٤ .

فى هذه الاتفاقية الأخيرة[٢٤] ، وعد مدير الجمارك «بشرف الكلمة والشرف والصدق» أن يقدم الاهتمام والرعاية والحماية للأمة الفرنسية ، والرعايا الفرنسيين القادمين من الهند الى السويس» . وفى المقابل كان مدير الجمارك يتقاضى ١,٥٪ على التجارة الهندية المنقولة إلى فرنسا عبر مصر ، و٣٪ على البضائع القاصدة مصر أو الأسواق التركية .

(23) Charles - Roux, L'Isthme et le Canal de Suez, p.110 .

(24) F.O. 78, Turkey and I.O.F.R. Egypt and the Red Sea. V. Contract, between The Chevalier Truguet and The Sieur Guiseppe Cassop Fermier General, 22 Feb.1785 and Baron de Testa,op. Cit., Tome. 2 Charles- Roux, L'Isthme...,Au. 7. the English Copy gave the 22 Feb. for the Treaty, While the French Gave 23Jan. Cassip Followed Cassis in 1784. Brandisaid about Him "The People enjoy in his rule, peac and safery". Brandi to Ainslie, 12 May 1784. F.O. 78, Turkey 5. (italian text).

فى سنة ١٧٨٥ بدأ الفرنسيون كما لو كانوا قد حصلوا على أكثر مما حصل عليه البريطانيون سنة ١٧٧٥ . وفى الحقيقة فقد اعتبر هذا نصرا كبيرا فى ذلك الوقت . وقال(بينجاند) Pingand «إن باريس تستطيع أن تحمى على البعد قافلة القاهرة كانتصار قومى»[٢٥] .

Paris, Pouvait Saluer do loin la Caravan du Cairo...Comme une Conquette nationale

ورغم أنه لم يكن فى مصر قنصل انجليزى أو وكيل فى ذلك الوقت ، فان الأخبار مع هذا كانت تصل الى (اينسلى) فى مارس عبر مبلغين فى الخدمة الانجليزية . كانت المعلومات غامضة وغير دقيقة ، لكن حقيقتان أجهدتا (اينسلى) ، أولاهما ، تلك الشائعات التى انتشرت فى أوروبا عن أن الباب العالى كان قد اعطى موافقته للمشروع ، وثانيتهما أن السفير الفرنسى فى القسطنطينية قرر إنكاره اى نية لحكومة بلاده فى اقامة علاقة تجارية بين اوروبا والهند عبر مصر[٢٦] . (يجب أن يتذكر أن إينسلى كان يقنع وزارة الخارجية دائما بالعداء العنيد للباب العالى لأى مشروع للملاحة فى خليج السويس) . ومنذ ذللك الوقت أصبح يشك فى مدى إخلاص اعلان الباب العالى . ولم يكن مازاد من شكوكه ان المشروع الفرنسى قد يكون ضارا لمصالح الشركتين البريطانيتين المعنيتان فقط ، ولكن اقتناعه المتنامى بأن فرنسا كانت تنوى ادخال أعلام قوى اسلامية فى هذه الملاحة ، ربما الأمير (تيبو سلطان)Tippo Sultan ، وان تستفيد من ذلك فى متابعة سياستها الخطرة . وإن البعثة الدبلوماسية غير

(25) Pingand; Choisel - Gouffier, La France en Orient Sous Louis XVI T.I,p.22.

(26) Brandi Retired at the end of 1784 after 25 years in Egypt and went to Constantinople, F.o. 78, Tutkeyand Extract d'une lettre d'Alexandrie, 29 Jan,1785.

العادية من هذا الأمير التى كانت بهدف اشباع الغرور العثمانى ربما كان المقصود منها تحبيذ هذا المشروع[٢٧] . كان امام (اينسلى) طريقان ، مع هذا ، لمنافسة الأنشطة الفرنسية فى مصر . الأول هو الإصرار على المساواة فى المزايا للرعايا البريطانيين ، وبكلماته (اينسلى) «ونقاتلهم بنفس أسلحتهم» ، أما الثانى فكان بإشغال الباب العالى ليسحب موافقته للفرنسيين . ووجد (اينسلى) ان الطريق الأول «غير ملائم» ، أما الثانى فكان فى رأيه «غير مستحيل»[٢٨] . كانت وزارة الخارجية ميالة بوضوح الى دعم الخطة الثانية . وفى كتب(كارمارثين) Carmarthen الى (اينسلى) فى ١٠ مايو «ايا كان الدور الذى تميل فرنسا إلى لعبه فى المسائل التركية فإنه من أهدافنا الهامة الكبرى منع هذه الدولة . بقدر الإمكان . من تحقيق مطالبها فى مصر . ان العواقب التى ستنتج منهم حتما . اذا تم تنفيذ مخططهم ـ على تجارتنا الهندية الشرقية ومؤسساتنا أوضح من أن تحتاج الى اقل تفسير . .

إننى استطيع تخيل ان فرنسا قد تصر على مطالبها هذه كمكافأة متوسطة ومعتدلة لاهتمامها المفترض بمصالح الباب العالى ، فى حالات كثيرة تعرض فيها (الباب العالى) للتدبر على يد قوى جبارة مجاورة ، ولكن فى نفس الوقت يتعين على الباب العالى ان يقدر الى أى مدى يجب ان يتساوق مع السياسة(الحكيمة) التى عليه ان يتبعها والتى قد تؤذى المصالح الإنجليزية ، التى ينبغى عليها (الدولة العثمانية) الا تخسرها فى وقت هو فى منتهى الخطورة لرفاهيتها ، وربما يمكن ان نضيف (ولوجودها)[٢٩] . على أى حال ، فقد ارسل (اينسلى) (براندى)(الذى كان فى القسطنطينية) الى الإسكندرية

(27) F.O. 78, Turkey 6, Ainslie to Carmarthen, 18 March 1785 .
(28) Ibid., 10 March 1785.
(29) Ibid., Carmarthen to Ainslie , 10 May 1785.

ليحصل على نسخة من المعاهدة[٣٠] . ويبدو أن (اينسلى) وقبل وصول النسخة كان مقتنعا بعداء الباب العالى للمشروع الفرنسى وأن ذكر (الخط الشريف) كانت لمجرد احداث فرقعة «للسفير» ، وكأغراء للمضاربين الهنود للمشاركة فى هذه التجارة تحت العلم الفرنسى[٣١] . وبنسخة من المعاهدة عقد (اينسلى) مؤتمرا مع (الريس افندى) حيث واجهه بها وأصر فى عبارات قوية على تفسير[٣٢] . وإلى جانب إنكاره موافقة الباب العالى فقد وعد الريس أفندى باتخاذ اللازم لتحقيق إبطال المشروع الفرنسى[٣٣] . وفى الحقيقة فإن هذه المشروعات كانت معرضة للسقوط بسبب ثلاثة حقائق :

أ - مؤامرات روسيا فى مصر .

ب - معارضة شركة الهند الفرنسية .

ج - عدم استقرار الباب العالى .

كانت المؤامرات الروسية ضد الباب العالى والمشروعات الفرنسية فى مصر أكثر خطورة فى سنة ١٧٨٥ عنها فى أى وقت آخر منذ ثورة على بك (١٧٦٩) . شجعت (كاترين الثانية) Catherene II البكوات على إعلان استقلالهم وقيل أن الروس وصلوا إلى الإسكندرية ، لحث البكوات ضد فرنسا[٣٤] . فى يوليو ، وصل البارون (ثونيوس) Thonius إلى الإسكندرية كقنصل ، وكسب نفوذا بين البكوات مقابل ٢٠٠٠ دولار كما تقول التقارير[٣٥] .

---

(30) Ibid., Ainslie to Carmarthen, 9 July 1785.
(31) Ibid., 10 October 1785.
(32) Ibid., 10 November 1785.
(33) Ibid.
(34) Ibid., Brandi to Ainslie , 22 August 1785.
(35) Ibid., Ainslie to Carmarthen, 9 July 1785.B.M. Add. Mss. 38223 F.232.Aletter from Alexandria 22 Octoer 1788 (obviousli by Brandi Talks about a Russian Missionby By By de pouys to Assist the Beys in their "revolution" against the porte.

عارضت شركة الهند الشرقية الفرنسية التى كانت تعيد النظر وقتئذ فى امتيازها الإحتكارى ، عارضت مشروع التجارة الهندية عن طريق السويس(٣٦) .

وضعت المؤامرات الروسية ، وتوبيخات (اينسلى) القوية ، ووصول سفينة البريد والركاب الفرنسية الى السويس ، وضعت كل هذه الأمور الباب العالى فى حالة من اليقظة . جهزت حملة لترسل الى مصر لفرض ولاء البكوات(٣٧) . وكان (اينسلى) مبالغا بلا شك فى مراسلاته الى وزارة الخارجية عندما عزا (الحملة) الى المعاهدة الفرنسية وحدها . وفى الحقيقة فان «الحملة التأديبية» كانت خطة عثمانية متخيلة منذ ما قبل سنة ١٧٨٥ . فى سنة ١٧٨٠ نوى الباب العالى ارسال حملة الى مصر «لتأديب البكوات» الذى ابدوا منذ سنوات قليلا من الاهتمام لأوامر الدولة ، والذين عاملوا الحكام الإتراك بكثير من المهانة(٣٨) . ومع هذا فإن التهديد الروسى على البحر الأسود ، حرم الباب العالى من الأسطول اللازم لحملة على مصر . وقد نجح الوزراء العثمانيون فى اقناع (اينسلى) بأن الهدف الوحيد للحملة كان تمزيق المعاهدة الفرنسية . وفى الحقيقة فقد أثبتت الحمة سريعا أنها فاشلة . حيث ان المماليك نظروا إليها باحتقار مع كل معاهدة تعقد فى مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ؛ وقد أكد (ر . ورسلى) R.Worsely الذى كان يزور مصر فى سنة ١٧٨٥ ، أكد (لإينسلى) أن الأمل قليل فى أى فائدة تجارية يمكن أن تجنى من المعاهدة الفرنسية . ولقد كتب (اينسلى) الى (كارمارثان) «أنه هو نفسه كان

---

(36) Charles - Roux, L'Isthme et le Canal de Suez, p.114 .
(37) F.O. 78, Turkey 6, Ainslie to Carmarthen, 25 November 1785 .
(38) F.O. 78, Turkey 1, Ainslie to Hillsborough, 1 January 1780 .

شاهد عيان على الاهانات والضرائب الثقيلة التى كانت تفرض على الفرنسيين . والتى لم يجرؤوا على مجرد طلب تعويضها[٣٩] . وليس هناك تصوير أبدع لحقيقة أن الفرنسيين فى مصر ، كانوا كما كان الأوروبيون الآخرون ، ضحايا لاستبداد البكوات وخداعهم ، من سلوك (مراد بك) (الرجل الذى وقع المعاهدة مع الفرنسيين) ضد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والآباء الرهبان فى الإسكندرية سنة ١٧٨٥ من أجل استخراج المال من التجار المسيحيين والقناصل[٤٠] .

(39) F.O. 78, Turkey 6, Ainslie to Carmarthen, 25 November 1785 .

(40) F.O. 78, Turkey 2, February 1786. the Memorial of different foreign Ambassad. ors to the Porte.

الفصل الخامس

تراجع الإنضمام البريطاني بمصر

سببت انباء المعاهدة الفرنسية اهتماما كبيرا فى لندن بالنسبة لوزارة الخارجية وشركة الهند الشرقية . فى سنة ١٧٨٠ صدر قانون برلمانى يحظر على أى مواطن بريطانى اعتبارا من الخامس من يوليه ومابعده حمل أو الإنخراط فى أى تجارة من انتاج أو تصنيع جزء الهند الشرقية أو الصين إلى اوروبا عن طريق السويس[١] . كان الاعتقاد الشعبى هو أن أى تجارة بين الهند ومصر كانت ضارة (لشركة) الهند الشرقية وشركات الليفانت . وفوق هذا ، فقد كان هذا (الطريق) يوفر لفرنسا طريقا سريعا للإتصال بالعوامل الهنود المعاديين لبريطانيا . ولم يكن سرا أنه فى سنة ١٧٧٧ كتب (حيدر على) صاحب (ميسور) Mysore إلى الباب العالى طالبا المساعدة ضد انجلترا ، وأن (تيبو سلطان) Tipu Sultan قد أرسل بعثة الى القسطنطينية فى سنة ١٧٨٤[٢] . وقد قيل ان نية (تبو) كانت (تعيين وكلاء للإقامة فى حلب والقسطنطينية من أجل المحافظة على الاتصال المنتظم بأوروبا[٣] . و«لفتح مجال لتصريف بعض من منتجات بلاده» . أعطى الجزع فى لندن (لبالدوين) ومسانديه فرصة ذهبية للتعبير عن وجهات نظرهم . كان (بالدوين) قد غادر الى (لندن) بعد فشل فى الحصول على تعويض فى القسطنطينية حيث قدم فى (١٧٨١ - ١٧٨٤)

---

(1) Atable of the Statutes Public and Private. the Statutes at Large. from Magna Charta to the end of the 11 thParliament of Great Britain,Vol.xxxIII, 1780 (p.430).

(2) S.p. 97.53, Ainslie toWeymouth, 17 April 1777 and Charles - Roux, Antour, etc., p178.

(3) F.O. 78, Turkey 7 Griffith to Ainslie, 5 September 1786.

استرحامات كثيرة الى مجلس المديرين[٤].. ومجلس المالكين[٥] ، لكن دون جدوى . في الحقيقة لقد افتقد (بالدوين) ثقة مجلس المديرين وكانت اتهامات (اينسلى) (له) مسئولة عن قدر كبير من هذا . كانت النقطة اللافتة للنظر في تقارير (بالدوين) هي ادعائه بأن (الباب العالى) لم يكن معنى بالموضوع برمته .« لن يصدق الناس» ، قال (بالدوين) ان الاتراك كانوا غير مبالين لهذا الاتصال كهدف للتجارة . لن يصدقوا أن المهانة التى قالها الباب العالى والمعبر عنها بقوة ، لم تكن أكثر من أوامر سفير انجليزى[٦] . لقد كذبت الشائعات واسعة المدى التى قالت بأن الباب العالى قد صدق على المعاهدة الفرنسية ، كذبت هذه الشائعة عن طريق افتراضات (بالدوين) الخيالية التى اكسبته حلفا ، مثل الملاك التسعة برأسة (الكومودور چونستون)Commodore Johnstone (الذى طلب من الشركة أن تعطى بالدوين وظيفة فى خدمتها) [٧] وموظفين مثل (إيروين)Irwin ، (رومبولد)Rumbold(رايكر) Raiker ، (مارك وود) Mark Wood وكابتن (وولى) Wooley .

وليس هناك شك فى أنه كان هناك أسف عام بسبب إنهاء (الوكالة) فى مصر . ولقد أثبتت الأحداث عدم جدوى (الطريق) . وخاصة فى زمن الحرب[٨] . ان قطع العلاقات مع (أسبانيا) لم يعلم به فى (مدراس) حتى بعد اثنى عشر شهرا بعد الحادث ، وخلال أكثر الفترات حساسية من الحرب كلها ، وكان الناس فى

(4) I.O.F.R. "Egypt the Red Sea" V. "The Humble Petition of G.Baldwin ...etc." (undared).

(5) Ibid. Baldwin to the Propriefors of E.I.Stock, 15 June 1783 .

(6) Ibid, "The Communication with India... etc". by baldwin "undated".

(7) Ibid, Proceedings at the General Quarferly Court of the East India Company... ect. 26 March 1783.

(8) Annual Register 1778,Vol.40,P.402.

انجلترا جاهلين تماما بالأحداث على ساحل(كوروماندل) Coromandel حتى ثمانية أشهر تالية . لقد جعل المستكشفون البريطانيون فى البحر الأحمر بدأ من (ج . تروتى) (the harbour and road of Suezin the Red sea 1779)G.Trotti

(الليفتنانت باسكال)(plan of the harbour..1782) Lieut.Mascall ، (و .روبنسون) (Suez harbour Surveyed by Capt. W.Robinson 1784) و(ل .س .دى لاروشيت)

(the North West Branch of the Red Sea 1785) L.S. de La Rochette

جعل هؤلاء المستكشفين البحر الأحمر[٩] مألوفا للملاحة البريطانية . كان من الصعب أن يجد المرء مسافرا بريطانيا فى مصر خلال هذه الفترة لايوصى بشدة بالطريق البرى لمصر على الأقل من أجل الإرساليات . كان أشهر المسافرين علما وحماسا من بين هؤلاء المسافرين (چيمس كابر)James Capper بلاشك والذى نشر فى سنة١٧٨٤ عمله Observations ووفقا له ، فإنه لو كان الطريق قد استخدم عندما وقع (صلح ڤرساى)Versailles ، فإنه كان يمكن أن ينقذ أرواح الفان وثمانون انجليزيا قتلوا فى المعارك عديمة الجدوى والتى دارت بعد انتهاء الحرب رسميا بفترة طويل[١٠] . يجب ان يعرف كل رجل ملم بالهند ـ قال (كابر) ـ أنه من الأهمية بمكان للأفراد ، للشركة ، وللأمة بأسرها ، أن تكون قناة الإتصال هذه مفتوحة مرة أخرى[١١] . ولقد مهدت هذه الكتب عقول بعض رجال الدولة فى انجلترا إلى قبول نظرية مفادها «ان سلامة ممتلكاتنا فى الهند يجب أن تعتمد فى كل وقت على اتصالات سريعة وسهلة من المخابرات»[١٢] .

(9) I.O.F.R. Egypt & the Red Sea V. Areport not signed or titled and starting: the necessity of a speedy Communication of intelligence between to England India... ect: the report is likely to be Baldwin's.

(10) Capper,p. XII.

(11) Ibid., P.xIII.

(12) I.O.F.R.,Ibid., "the necessity of a speedy communication.. ect."

تصدر الموقف المالى(للبنغال) قضايا الوقت . فقد اقترح (بيرك)Burke فى التعامل مع قضية ضخ العملة الى ذلك الإقليم ، اقترح التجارة مع مصر كأحد الحلول[١٣] . ومن جانبه فإن (ڤيريتيت) Veretet فى سلسلة من الخطابات إلى مجلس المديرين ، الى جانب (ماچورسكوت) Scott فى كراسته المعنونة نظرة عامة للصفقات التجارية فى البنغال خلال السنوات العشر الأخيرة» .

Areview of the Transactions.in Bengal during the last ten years.

اعطى بعض الدعم لاقتراح(بيرك) وأوصى بشدة بالأخذ به« كإجراء ضرورى لحل ازمة الحاجة الى النقود فى البنغال»[١٤] . ولقد ذهب (بالدوين) الى أبعد من ذلك فى تقريره .

"Considerations on the country trade as to its influence on the affairs of the country and particularly as it connects with the navigation and trade to Suez."

تأملات فى تجارة البلاد فيما يتعلق بتأثيرها على الأعمال وأمور الدولة وخاصة فيما يتعلق بعلاقتها بالملاحة والتجارة الى السويس .

عندما أعلن أن قمع التجارة مع السويس كان مسئولا إلى حد ما عن ندرة النقود فى البنغال[١٥] . فى سنة ١٧٨٢ نشر(ماكنتوش) Macintosh عمله "Travels in Europe, Asia and Africa ". وفيه قدم دراسة مستفيضة[١٦] عن موضوع« تجارة الخليج» . أصر (ماكنتوش) على أن شركة الهند الشرقية «قد روجت أفكارا زائفة تتعلق» بهذه التجارة . ورد (ماكنتوش) وجهة نظر الشركة بأن مثل هذه التجارة قد تتداخل مع مبيعاتهم فى أوروبا وخاصة مع تجارة (

---

(13) Ibid., Extracts from Mr. Burke's 9 th report .
(14) Ibid., Extracts from Major Scott's Pamphlet, pp.11 - 12, 97.
(15) Op. Cit.
(16) Vol. II,PP.135 - 141 .

شركة الليڤانت) . فى المقام الأول أورى (ماكنتوش) أن كلا من نوعية وكمية البضائع المصدرة من الهند إلى السويس تختلف عن تلك الواردات الهندية التى تأتى من انجلترا إلى تركيا بمعرفة شركة الليڤانت . فى المقام الثانى ، فإن الحوالات إلى بريطانيا لبضائع مصدرة من الهند إلى البحر الأحمر كانت فواتير صرف ، ذهب بندقى وقطع نقدية اسبانية أو المانية . من هنا فإنه يصبح سؤالا سياسيا ، ما إذا كان من المفيد لبريطانيا أن تستمتع بامتيازات جديدة وحصرية ، ستكون ذات إزعاج للتجارة الهندية ، وأحد الفروع التى تميل بريطانيا إلى منعها ؛ قدر (ماكنتوش) « تجارة الخليج» (فى كلا من البحر الأحمر والخليج الفارسى) بـ ٣٥٠,٠٠٠ جنيه فى السنة . لكنه زعم أن التجارة قد « تحسب لقدر من ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من المكسب» .

وبهذا فإنها يمكن أن تزود «سوقا سنوية» . وفوق هذا فإن العوائد السنوية لهذه التجارة كانت ذهبا وفضة وهى مواد كانت أساسية لرفاهية الهند . واقترح (ماكنتوش) أن تجرى محاولات «لإحياء وتأسيس هذه الفروع من جديد للتجارة على أسس جديدة وشاملة» . واقترح خطوتان فى هذا الاتجاه . كانت الأولى هى وضع التجار الأحرار تحت تغييرات وحدود مختلفة ؛ لمنع هذه المخالفات التى طالما كثرت الشكوى منها ؛ الحط من قيمة الأشياء ، وفى نفس الوقت زيادة اسعار السلع . وكانت الخطوة الثانية هى ضرورة عدم السماح للتجار الأحرار بالاتجار فيما وراء حدود الشركة (شركة الهند الشرقية) بدون جواز . «إن التقلبات وعدم الأمان المميز لأى تجارة تسببه الأدارة التعسفية للشركة المحتكرة والحكومة المستبدة (التركية) . وختم (ماكنتوش) حديثه بقوله «يجب أن لاتثبط هذه الأمور حماسة المضاربين فى التجارة» ! .

كان تطور شركة الهند الشرقية خلال الفترة ١٧٥٧ ــ ١٧٨٤ من شركة مهيمنة إلى قوة اقليمية مهيمنة عاملا محددا فى تدخل التاج ، وهو تدخل أدى فى سنة ١٧٨٤ إلى مايعرف«بلجنة الاشراف» Board of Control[١٧] . وضع هذا التدخل الذى املته الضرورة السلوك السياسى للشركة فى التبعية المستحقة لسياسة الحكومة البريطانية وبينما كانت شركة الهند كارهة لمسألة إعادة فتح هذه التجارة ، فان الحكومة البريطانية لم تستطع أن تهمل المشروعات الفرنسية فى مصر . وتصور إعادة تأسيس قنصلية بريطانية فى مصر سنة ١٧٨٦ ، بالمخالفة للاحساس العام لمجلس المديرين ، وتصور أن سياسة الشركة لم تعد مستقلة عن سياسة الحكومة البريطانية[١٨] . وفوق هذا فقد كان (دونداس)Dundas ، رئيس «لجنة الاشراف» عدوانيا للشركة ما بين ١٧٨٤ و ١٧٨٨ وكانت سياسته هى حرمانها من سلطاتها السياسية وتهيئة نفسه كوزير دولة للهند[١٩] . أرسل (دونداس) إلى (بالدوين) فى أواخر سنة ١٧٨٥ وطلب أن يقدم تقريرا عن الوضع فى مصر . وفى استجابته لهذا الطلب قدم بالدوين تقريره الشهير "Speculations on the Situation and resources of Egypt"[٢٠] . تعامل التقرير مع وضع مصر النسبى فى العالم ، تجارتها ، منتجاتها ومواردها التجارية ، حكومتها ، كيفية هزيمتها ، دفاعاتها ، اهميتها لإنجلترا وفرنسا ، وأخيرا وضعها كمستعمرة فرنسية . يركز التقرير بامتياز على أهمية الوضع الجغرافى لمصر للمتلكات البريطانية فى الهند ، والنتائج المصيرية لها لو أن فرنسا فتحت مصر ، كان واضحا ان (دونداس) كان مقتنعا بأفكار (بالدوين) ، وتقريبا كان مقتنعا بنفوذه ، وقد وافقت الحكومة عى تعيين قنصل عام فى

(17) Phillips, PP. 30 - 34 .

(18) I.O.F.R. Ibid., Johnston to Dundas, 4 sept. 1785.

(19) Phillips, PP. 49 .

(20) I.O.F.R., Op. Cit., and Baldwin's "Politcal recollections."

مصر ، هدفه الأساسى هو إبرام معاهدة مع البكوات تكون مشابهة لتلك التى ابرمتها فرنسا معهم ، والسعى لتسهيل نقل الإرساليات بين انجلترا والهند .

شهدت نهاية ١٧٨٥ وبدايات ١٧٨٦ المجادلات المتبادلة حول هذا الموضوع بين (دونداس) وحاميه من ناحية ، ومجلس المديرين من ناحية أخرى . ورغم أن المجلس كان قابلا لقضية الإرساليات ، فإنه كان عدوانيا للغاية تجاه التجارة الهندية مع مصر . وفى بواكير سنة ١٧٨٦ امكن عمل تسوية بين وجهات نظر (بالدوين) ووجهات نظر (مجلس المديرين) . كانت التسوية تقول بأن على انجلترا أن تبرم المعاهدة ، ولكنها لاتطبقها حتى تنتهى شركة الهند الشرقية من تقدير الوضع بتمعن وتعطى قرارها[٢١] . ولم يعط كلا من (هوسكنز) Hoskins (وشارلرو) هذه الترتيبات اى اعتبار . إنه من الصعب فهم كيف ولماذا وافق (بالدوين) أو (دونداس) على مثل هذه الشروط . بالنسبة (لبالدوين) كان واضحا ان قضية الإرساليات لايمكن التخلص منها منفصلة بقدر مايخص بكوات مصر . ولو كان (دونداس) قادرا على تحقيق افكاره حول المعاهدة مع مصر ، لكانت المنافسة الانجليزية الفرنسية فى هذا البلد (مصر) قد اصبحت رواية أخرى . وفى الحقيقة فإن المرء يستطيع أن يستنتج ان المعاهدة مع البكوات قد ولدت ميتة .

اختير (بالدوين) كقنصل عام وفق شرطان ، الأول ان يبرم المعاهدة فى ظرف سنة . وثانيا أن لايزج بنفسه فى التجارة دون موافقة الشركة[٢٢] .

كان هناك موضوعان رئيسيان يتعين على (دونداس) ان يتعامل معهما ؛ الموضوع الذى يتصل بتمويل المشروع والموضوع الخاص بتنظيم نظام

---

(21) I.O.F.R. Op. Cit., Instructions to Mr Baldwin and G.D. 8/152. Dundas to Pitt (undated).

(22) I.O.F.R. Op. Cit. "Instructions to Mr Baldwin."

للإرساليات . ففيما يتعلق بالموضوع الأول ، هناك تقارير عديدة وثيقة الصلة به من بين سجلات الشركة . وبينما لايستطيع المرء أن يتعامل مع كل هذا ؛ فانه من المهم ان نتمثل بتقارير (جونستون) Johnstone ومن يدعى (ريتشى)Ritchie وكلاهما قدم (لدونداس) تقاريره فى نهاية سنة ١٧٨٥ . خلص(جونستون)إلى أن استخدام الطريق البرى عبر مصر يوفر ٢٥,٠٠٠ جنيه فى السنة ، وكانت الإرساليات تساوى وفقا لتقديراته ١٢٥٠ جنيه فى السنة[٢٣] . وقد قدر (ريتشى) النفقات بثلاثة آلاف وخمسمائه جنيه[٢٤] . وبالنسبة لمسألة تنظيم الإرساليات فقد وجد من خلال التجارب الماضية أن الطرود من انجلترا الى الهند كانت أكثر سرعة ونشاطا عن تلك الفائدة الى الوطن ، وفقا للرياح الموسمية الصيفية والجنوبية الغربية وتلك القادمة من الشمال الشرقى . كانت الفترة الملائمة بالنسبة للرحلة من إنجلترا إلى الهند هى التى بين ابريل وأكتوبر - ونوفمبر عندما لاتهب الرياح الموسمية . اما بالنسبة للفترة من ديسمبر وحتى فبراير فإن الرياح الموسمية الشمالية الشرقية كانت عقبة ، وقد اقترح ان ترسل الإرساليات إما من (كلكتا) إلى (مدراس) ، ومنها الى (بومباى) ، أو من (كلكتا) مباشرة الى (بومباى) . وفى النهاية فإنها لمقابلة صعوبات الرياح الجنوبية الغربية التى تجر فى السفن شرقا والتى تهب عشرة أشهر فى السنة فى الجزء الأعلى من البحر الأحمر ، فقد اقترح انه عندما تجد السفن صعوبة فى التقدم من خليج السويس ، فإنها (السفن) يجب أن ترسو فى (الطور) ، ثم ترسل الإرساليات الى (غزة) ومنها الى (البندقية) . وفى حالة عدم استطاعة السفن التقدم الى الشمال من (جدة) فانها يجب أن ترسو فى (القصير) ، وترسل الإرساليات عبر الصحراء الى (قنا) ، ومنها بالنيل الى القاهرة . وبالتبعيه فإن

---

(23) Ibid., Johnston to Dundas, 4 Sept 1785.

(24) Ibid., " The great objects in the Communictation between the Country and India."

الوكلاء الوطنيين كانوا يستخدمون للإقامة فى هذه الموانى لتسهيل عمليات النقل(٢٥) .

فى بواكير ١٧٨٦ انتهى (دونداس) من صياغة خطته ، مع اعتبار كبير للجانب الاقتصادى فيها . كانت المصاريف السنوية للقنصلية ١٤٠٠جنيه : خمسمائة كمرتب (لبالدوين) ، ١٠٠ جنيه لكل وكيل فى كل من (القيصر) ، (جدة) (الطور) ، (غزة) ، و ٥٠٠ للهدايا الضرورية للباشا فى مصر ، شيخ البلد ، وبكوات آخرون(٢٦) . وبعيدا عن هذه النفقات فان الفان أخرى كانت مخصصة للأغراض العاجلة للمعاهدة . خُوِل (بالدوين) الحق فى تعيين الوكلاء المحليين . كانت التعليمات المعطاة له واضحة من حيث ان المعاهدة التجارية والإرساليات كانت فى دوائر الشركة قضيتين منفصلتين . «وبالنسبة للإمتيازات التجارية ، فإنك لاينبغى أن تجعلها شرطا مفصلا لإنها ستفحص باعتبارها أمور تجارية . . يجب أن تبقى وفق ماتراه «شركة الهند الشرقية» التى تتاجر تحت رعاية القانون الملكى الذى عليها أن تفيد منه حسب الأحوال . . . لكنه من المؤكد حتما ضرورة استخدام المواصلات عبر مصر الى الهند لأغراض استلام وتقديم الإرساليات العامة(٢٧) إلخ . وفوق هذا ، فقد كان (بالدوين) مكلفا بالاتصال مباشرة مع واحد من وزراء صاحب الجلالة مباشرة ومع الشركة . وكان عليه أن يرسل كل حين وآخر تقارير عن انشطة فرنسا التجارية ، أو أى «قوى أسيوية متحالفة معها» ، فى القاهرة والبحر الأحمر وعند الانتهاء من المعاهدة كان على بالدوين أن يرسلها الى(إينسلى) للتصديق عليها من الباب العالى . وفى النهاية كان عليه «ان ينسى الخلافات الماضية مع اينسلى»(٢٨) .

(25) Ibid.,
(26) Ibid., Draft of Instructions to Mr. Baldwin.
(27) Ibid.,
(28) Ibid.,

نظرت «شركة الليڤانت» الى قرار «شركة الهند الشرقية» والحكومة بقليل من الإعتبار ، ففيما يختص بأى تجارة بين مصر والهند ، كانت النظرات العدوانية للشركة تماثل تماما نظرات ممثليها ، السير ر .(إينسلى) . لقد كان تعيين شركة الهند الشرقية لقنصل لها فى مصر هو الذى ايقظ الشحناء فى الموقف الجديد(٢٩) . كانت مصر تقع فى حق الامتياز الذى «لشركة الليڤانت» ، وكان تعيين القناصل فى الأملاك العثمانية من ضمن امتيازات الشركة بالقطع . وهناك مايدفع الى الاعتقاد بأن «شركة الليڤانت» كانت متخوفة من أن يحدث اجراء كهذا نزاعا بينهم وبين «شركة الهند الشرقية» . ومن يونيو وحتى سبتمبر حثت الشركة (اينسلى) على نصح حكومته بهجر المشروع الجديد والتعبير عن عواطفه الجياشة لوزراء صاحب الجلالة حول هذا الموضوع(٣٠) .

وللحقيقة فإن (اينسلى) لم يكن بحاجة الى حث . ففى المقام الأول ، جادل بأن «تعيين القناصل فى املاك السلطان شكلت جزءا هاما ورئيسيا فى الامتياز الممنوح «لشركة الليفانت» . . «لايستطيع أى شخص أن يعمل فى مصر بقدرات عامة ، ومستقلا عن السفارة ، ما لم ينظر الى بكوات مصر ، الذين يعترفون بشخصيته العامة ، كمستقلين عن الباب العالى»(٣١) .

وفى المقام الثانى ، فقد شعر (اينسلى) بأن حملة (قبطان باشا) على مصر يمكن أن تعدل سلوك شركة الهند الشرقية نحو الموضوع برمته ، وهو سلوك مبنى على محادثات منفصلة مع مصر ، اهملت فيها حقوق السيادة التى للباب العالى(٣٢) .

(29) S.p.105. 121., Company to lord Northe, 14 Oc. 1785.
(30) F.O. 78 Turkey 7., Company to Ainslie 2, Sept. 1786.
(31) Ibid., Ainslie to Company, 25 Jan 1786.
(32) Ibid., Ainslie to Company, 9 Sept 1786.

وبالرغم من هذا ، فان تجار الليڤانت فشلوا فى احتجاجاتهم . وفى الحقيقة ، فإن هذا الفشل هو مثال آخر لبدايات الإحتكاك بين الاعتبارات الامبريالية والشركات الاحتكارية فى ذلك الوقت . لقد كتب وزير الخارجية (لورد كارمارزن) Carmarthen الى (إينسلى) فى عبارات قوية انه بما أن هذه الشركة (الليڤانت) قد يكون فى تفكيرها أن فتح المواصلات عبر مصر الى الهند قد يكون ضار بمصالحها التجارية . . . فان سعادتكم عليكم تقدير . . . انه لا الأوامر ولا المصالح لشركة تركيا سوف تكون بغيضة بأى شكل كان للمصالح العليا للأمة(٣٣) . بهذه التعليمات ، شرحت الخطة بأكملها (لإينسلى) وصدرت له الأوامر باستخدام مساعيه لحمل الباب العالى على سحب فرمانة الحظرى لسنة ١٧٧٩ وأن يصادق على المعاهدة المقترحة بين انجلترا وحكومة مصر . ومن كل الدلائل المتاحة ، فإنه يبدو واضحا أن تأسيس قنصلية بريطانية فى مصر والمعاهدة المقترحة ، كانا نتاج سياسة مصممة لإجهاض الجهود الفرنسية فى مصر وليس لاستثمار التجارة عبر هذه القناة . ويمكن للمرء أن يعتبر ان موضوع الطريق البرى عبر مصر كتصوير مطابق للسياسة الخارجية البريطانية فيما يتعلق بالشرق الأدنى . وكان الحافز هو الحساسية البريطانية للجهود الفرنسية فى القرن الثامن عشر .

طُلِب من (أينسلى) فى حالة فشل (بالدوين) ، أن يبرم معاهدة بنفسه مع الباب العالى بنفس الشروط .ووضع الفان من الجنيهات تحت تصرفه للحصول على ابطال الباب العالى للفرمان ، والتصديق على المعاهدة المقترحة . خصصت ستمائة جنية سنويا لتقديم هدايا مناسبة للوزراء العثمانيين . وفى

(33) Ibid., Cormarthen to Ainslie 1 Sept. 1786 & I.O.F.R. Op.Cit.
Dundas to Carmarthen 19 May 1786. Also in G.D 8 /157.
Dundas to Pitt undated.

النهاية ، فقد كلف بأن يحافظ على سياسة الإسترضاء مع الباب العالى ، وبينما كان (بالدوين) يباحث البكوات ، فإن (إينسلى) كان عليه محاولة الشرح للباب العالى بأن مباحثات (بالدوين) لم تأت من دوافع غير صديقة تجاه الباب العالى . . ولكن من الحالة الضعيفة والمضطربة للحكومة التركية ، من التأخير الكبير لمثل هذه المباحثات فى القسطنطينية ، من احتمالات تعطيلها بواسطة التدخل من أمة منافسة ، من الإعتماد القليل الذى فى ذلك الوقت تبديه حكومة مصر على سلطة الباب العالى[٣٤] . ويكمن ضعف هذه السياسة فى حقيقة أنها كانت متناقضة ظاهريا لإنكار الدوافع الصديقة بينما تزايد من أجل وضع تفصيلى فى محافظة تركية .

وصل (بالدوين) إلى مصر فى بواكير سنة ١٧٨٦ وفى الحال عين (توماس تيرنر) Thomas Turner كنائب قنصل فى (الإسكندرية) . وما أن اتصل بالبكوات حتى كانت حملة (القبطان باشا) قد وصلت إلى مصر فى يونيو ١٧٨٦ . وفى أغسطس وقرب القاهرة هزم المماليك الذين فروا إلى الصعيد . كان ينبغى أن تغير الأوضاع الجديدة السياسة البريطانية فيما يتعلق بالمعاهدة المقترحة ، حيث أنها كانت سياسة مؤسسة على افتراض أن البكوات كانوا مستقلين فعليا عن «الباب العالى» . زعم (بالدوين) أن «الأحداث الأخيرة التى وقعت بمصر ملائمة تماما لقصد تعيينى» على أساس أن توكيد السيادة العثمانية فى مصر قد يساعد (اينسلى) «بفعالية عالية ليوظف» نفوذه عند الباب العالى لإنجاح مباحثات (بالدوين) مع الأدميرال التركى فى مصر[٣٥] . ان مثل هذا الزعم من جانبه كان بالقطع متضمنا عدم اعتبار متعمد لحقيقة أن

(34) F.O. Turkey. 7., Carmarthen to Ainslie, 1 Sept. 1786.
(35) Ibid. Baldwin to Ainslie 13 Jan. 1786 .

المعاهدة كان من المفترض أساسا أنها مبرمة مع البكوات . وصلت إلى (بالدوين) فى نهاية ١٧٨٦ (براءة) وخطاب توصية من (اينسلى) إلى «القبطان باشا»[٣٦] ومن الصدر الأعظم إلى الباشا الجديد فى مصر[٣٧] . ومع هذا فإن هذه الاتصالات لم تحتوى على أدنى إشارة للخطة البريطانية . وبالتطبيق للموقف الجديد ، فإن العبء الأساسى للخطة البريطانية بدا أنه سيكون على عاتق مجهودات (اينسلى) فى القسطنطينية .

أفهم (اينسلى) أن «الباب العالى» لايستطيع أن يحدد أى شىء يتعلق بمصر ، قبل أن يكون شكلا من الإدارة قد انشئ هناك . «وحتى ذلك الوقت» ، كتب إلى حكومته ، هل من المعقول توقع إقدام الباب العالى على إغضاب «شيخ مكة» من أجل إرضاء قوة مسيحية ، أو هل أستطيع أن أؤمل انه فى الاضطرابات الناجمة عن مشكلة ما تستطيع (تركيا) دون دافع هام ، أن تجرؤ على إثارة إشمئزاز فرنسا وعروش وقوى أخرى فى أوروبا بالإذعان لنا بأشياء ورفضتها بالنسبة لهذه القوى . إننى سأضيف فقط أنه حيث أخاطر بأى خطوات لإرباك الإدارة ، فإنها قد لا تفشل . . . فى تدمير الثقة التى أحوزها فى الديوان[٣٨] . وكما كانت الأمور ، فانه كان صعبا فى الظاهر للباب العالى ـ الذى زعم أن الغرض من حملته وهو مواجهة المشروعات الأجنبية ـ أن يعطى موافقته على الخطة الإنجليزية . أنه صحيح تماما أن الحملة اعتبرت من جانب الباب العالى ، ومن جانب العروش الأوروبية كاختبار لقدرة الباب العالى على الحفاظ على الإمبراطورية . وفى اشارته إلى الموقف فى مصر ، اعتقد (لورد كارمارزن) انه من الممتع اعتبار (الحملة) مؤثرة ماديا على الحكومة التركية

(36) Ibid., Ainslie to Gazi Hassan Pacha 23 Oct. 1786 .
(37) Ibid., Ainslie to Baldwin 23 Oct. 1786 .
(38) F.O. 78 Turkey 8. Ainslie to Carmarthen 26, Feb. 1787.

سواء فيما يتعلق بقوتها الداخلية أو بقدرتها الخارجية ، وبالطبع فإنها يمكن توجد أسبابا لبحث إلى أى مدى يكون هذا النظام الغريب والمستبد كفء لمنافسة أمام غريم طموح متألق كأوروبا(٣٩) .

فى مارس ، وصلت (فرقاطة) فرنسية (فينوس) إلى السويس من (كلكتا) . إستقبل الركاب بعقود من جانب «القبطان باشا» الذى سئل فى وقار القنصل الفرنسى (مستر ميور) Mure عن أسباب هذه الخطوة(٤٠) . على أى حال ، فقد اعتبر (بالدوين) زيارة الفرقاطة الفرنسية كسابقة وأبلغ الحادث إلى (اينسلى) ليستخدمه كسبب لامتياز مماثل للرعايا البريطانيين . وذكر (لإينسلى) أن (القبطان باشا) كان مستعدا لمساعدة (بالدوين) فى خطته ، بشرط أن يتلقى تعليمات من الباب العالى(٤١) .

فى يونيه ويوليه ١٧٨٧ بدت طلبات (اينسلى) المتكررة لحقوق متساوية عديمة الجدوى . وقد شرح له «الريس افندى» ان زيارة «فينوس» لاتحمل اى اشارة إلى رغبة «الباب العالى» لتغيير سياسته إزاء الملاحة الفرنسية فى البحر فيما وراء ميناء (جدة) . لم تتمخض احتجاجات (اينسلى) القوية ، وحتى هداياه التى بلغت قيمتها ٢١٠٠ دولار ، عن أكثر من وعد من جانب الوزراء العثمانيين بالنظر فى الخطة البريطانية بعد تأسيس «إدارة» فى مصر(٤٢) . ويبدو أن (اينسلى) كان مقتنعا بوجهة النظر العثمانية ، لأنه فى ١٠ يوليه ، ١٧٨٧ ، كتب إلى (كارمارثن) مبررا فراره بالانتظار حتى تكمل الحملة هدفها(٤٣) .

---

(39) F.O. 78 Turkey 7. Carmarthen to Ainslie 18, Dec. 1786.
(40) F.O. 78 Turkey 8. Buccianti to Ainslie 18 April 1787 & Ainslie to Carmarthen 25 May 1787.
(41) Ibid. Baldwin to Ainslie 3 April. 1787 .
(42) Ibid. Baldwin to Ainslie 19 Oct. 1787 .
(43) Ibid.

ومع هذا ، فإن قرار (اينسلى) لم يرضُ القنصل العام «المتلهف» الذى كان عليه أن يبرم المعاهدة فى خلال سنة واحدة .

وفى الحقيقة ، فان (بالدوين) الذى لم يكن مدركا للوضع فى القسطنطينية ، شعر بأن وعود «الأدميرال» لمساعدته فى خطته ، واستقباله الودى (للورد موراى) Murray فى مصر (يوليه ١٧٨٦)(٤٤) ، كانت دلائل للنية الحسنة من جانب الحكومة العثمانية ، وان (اينسلى) لايبذل قصارى جهده فى هذه الظروف . فى أكتوبر ١٧٨٧ بدأت مرحلة أخرى من الاتهامات المتبادلة .«بالنسبة لى» ، كتب (اينسلى) إلى (كارمارزن)«فإننى مدفوع إلى الاعتقاد أن (بالدوين) كان ضحية غفلته بسبب نعومة القبطان باشا وربما جشعه . . . . إنه يقول ان القبطان باشا يعبر عن رغبة قوية بأننى لابد أن أحصل على أقل دليل على تعاون الباب العالى حسب اتجاهاته . ان هذا بالنسبة لى هو اقوى دليل ، ان لم يكن عن رفضه ، على الأقل ، كحل من جانب القبطان باشا ليخلى نفسه من أى مسئولية . . . وشأنه شأن اغلب الاوروبيين فقد كان مخدوعا بالمظهر الخارجى ، واعتقاده ان الاتراك قوم جادون ، يمكن أن يضحى بالكثير من أجلهم(٤٥) .

من سخرية الأقدار من الموقف كله هى ان (اينسلى) نفسه كان مخدوعا بالوعود «الخارجية» التركية فى القسطنطينية ، فمن سبتمبر ١٧٨٧ وحتى يولية ١٧٨٨ لم يحصل سوى على وعود متكررة من الوزير العثمانى . وفى ١٠ أكتوبر كتب الى حكومته «إننى انافق نفسى بأن قضية الملاحة فى البحر الأحمر سوف تنجح الآن»(٤٦) . وبعد خمسة أشهر كتب قائلا «إن اعتمادى الرئيسى

(44) Ibid., Baldwin to Ainslie 19 Oct. 1787 .
(45) Ibid., Ainslie to Carmarthen 10 July. 1787.
(46) Ibid., 10 Oct. 1787.

فى الوقت الحال هو على الوعد ، وأمل فى نية الوزير الحقيقية لاقتناص الفرصة الأولى للزج بالسلطان لكى يمنحنى مطالبى . . . وفى إطار هذا الأمل فإننى مستمر فى التودد الى (قصر سيراجليو)(*) وعند الباب العالى ، وفوق هذا كله إلى وكيل الوزير السرى هنا[٤٧] . وفى نفس الشهر قدم إلى حكومته قائمة بالهدايا المعطاه خلال الأشهر الثلاثة السابقة بلغت قيمتها ٦١٤١٥ قرشا[٤٨] .
وفى الحقيقة فان (اينسلى) كان مسئولا جزئيا عن فشل الخطة البريطانية .

كانت هناك ثلاثة مزايا لم يستخدمها اينسلى بالكامل : أولا صداقته مع القبطان باشا الذى كان قد استدعى الى القسطنطينية فى سبتمبر ١٧٨٧ ، ثانيا الوعد الصادر عن السفير الفرنسى باسم بلاط بلاده لمنع الملاحة للسفن الفرنسية فى البحر الأحمر فيما وراء (جدة) وثالثا الرغبة الجارفة للباب العالى للحصول على وساطة بريطانيا فى النزاع العثمانى مع روسيا .

إن من الإنصاف اضافة أن (بالدوين) يشارك (اينسلى) مسئولية الفشل . . ففى بواكير سبتمبر ١٧٨٧ طلب (اينسلى) من حكومته أن يبقى الأمر طى الكتمان لتجنب أثارة الفرنسيين فى القسطنطينية ، وهو عمل كان يمكن أن يدمر الخطة الانجليزية[٤٩] .

وربما يكون هذا أحد الأسباب التى تفسر عدم طلب (اينسلى) بنفسه ورسميا هذا المطلب من الباب العالى . ورغم هذا فإن تحركات (بالدوين) فى مصر ، وزياراته (لقبطان باشا) وجهوده المحمومة لتسريع الأمر ، كل هذا جعل

* القصر السلطانى وقتئذ (المترجم) .
(47) F.O., 78 Turkey 9, Ainslie to Carmarthen, 20 Feb. 1788.
(48) Ibid., 22 July 1788.
(49) F.O. 78 Turkey 8, Ainslie to Carmarthen, 10 Sept. 1787.

خطته معروفة فى كل أنحاء الامبراطورية اعثمانية . ولقد أُبلغ ان تجارا من البنغال قد قرروا البدء برحلاتهم الى السويس ببضائع هندية(٥٠) . وفوق هذا ، فقد أرسل (كورنواليس) Cornwallis ، حاكم البنغال العام ، تعليمات الى (بالدوين) لتسهيل نقل الإرساليات المتوقعة فى السويس فى يناير ١٧٨٩ (٥١) . وسمع (هايز) Hayes القنصل البريطانى فى أزير شائعات فى مؤسساته عن خطة (بالدوين) مبكرا . وفى يولية ١٧٨٧ كتب الى (اينسلى) قائلا «اننى لا أرى ظهورا كثيرا لنجاح مستر (بالدوين) فى مؤسسته والغرض منها»(٥٢) .

فى ٢٦ سبتمبر ١٧٨٨ كتب (شارلز سميث)Charles Smith القنصل العام فى(حلب) الى (اينسلى) قائلا «اننا نسمع أن سفن بريد ونقل ركاب تستقر فى السويس . . . ويتوقع أن تحمل على مدى العام ٢٠٠٠ بالة من (الموسلين) والقماش الخام من البنغال(٥٣) .

وكتب (اينسلى) الى (كارمارذن) فى الثامن من نوفمبر ١٧٨٨ «انه ليس خطأى اذا كان هدفه (بالدوين) قد أصبح معروفا فى كل أنحاء الامبراطورية(٥٤) .

تعقد الموقف نتيجة طلب السفير الفرنسى لمزايا مماثلة ، وبالجهود الفرنسية والروسية فى مصر لمساعدة (مراد بك) و(ابراهيم بك)(٥٥) .

---

(50) F.O. 78 Turkey 9, Charles Smith to Ainslie, 26 Sept 1788.
(51) F.O. 78 Turkey 9, Baldwin to Ainslie, 15 Oct 1788.
(52) F.O. 78 Turkey 8, Hayes to Ainslie, 7 July 1787.
(53) F.O. 78 Turkey 9, Charles Smith to Ainslie, 26 Sept 1788.
(54) F.O. 78 Turkey 8, Ainslie to Carmarthen 27.
(55) F.O. 78 Turkey 8, Ainslie to Carmarthen, 27 Nov 1788.

جاءت تقارير إلى (اينسلى) من مصر عن ظهور (البارون ثونيوس)Thonius فى البلاد ، بمهمة تحريض البكوات على التحرر من التبعية للباب العالى[٥٦] . وقد قبض على من يدعى (م . ريبود) M.Ribaud الذى كان يتعاون مع (ثونيوس) . وقد اعتقل (ثونيوس) نفسه فى سبتمبر ١٧٨٨ وزج به فى قلعة القاهرة[٥٧] . وفوق هذا ، فقد ابلغت الخارجية البريطانية الباب العالى فى الثامن من يناير ١٧٩٠ بمعلومات تتعلق بمشروع «لبلاط سان بطرسبرج بتجهيز أسطول ، فى خلال ذلك العام ، بهدف عمل محاولة فى البحر الأحمر للإستيلاء على مدينتى (جدة) و(ينبع) : بنهب وافتداء مدينتى (المدينة) و(مكة) ، بنقل قبر محمد ﷺ ، وبتدمير الأسطول التركى فى هذا البحر . ولهذا الغرض كان المفترض تجهيز اسطول قريب من (مدغشقر) ويتقدم نحو البحر تحت أعلام هولندية ، متظاهر بالتجارة . كانت قوة هذا المشروع تتألف من أسطول من ثمانى سفن بمدافع من ١٤ ـ ٣٢ مدفع ، تحمل تسعة آلاف أوروبى وستمائة عبد من مدغشقر ، على أن تحمل كل سفينة قاربا أو اثنين مفككين ويسهل تركيبهما ، للإستخدام فى المياه الضحلة[٥٨] . ولاتحتوى وثائق الخارجية البريطانية أى أدلة اخرى تتعلق بموثوقية هذا المشروع ، الذى لم يسمع عن قصته بعد ذلك . من الجدير بالملاحظة ان الإهتمام الصادر عن وزارة الخارجية فى لندن بسرعة إبلاغ الباب العالى بالمشروع الروسى ربما يكون دليلا على نشاط (بت) Pitt السياسى حول قضية (اوكزاكوف) Oczakov .

مبكرا فى نوفمبر ١٧٨٨ كتب (اينسلى) الى الخارجية انه «لااستطيع أن أويد بثبات ، سواء رسميا أو عرفيا على موضوع طلب المستر (بالدوين)[٥٩] .

(56) Ibid., Baldwin to Ainslie 15 . Oct. 1788.
(57) Ibid., Ainslie to Carmarthen 8 Nov. 1788.
(58) F.O. 78 Turkey 11, Carmarthen to Ainslie 8 Jan.
(59) Ibid., 15 July 1788.

«إننى لست محتاجا الى أن أبين لفخامتكم عدم لياقة الطلب . إن الطلب الذى قدمه (مستر بالدوين) بإلحاح والذى سيرفض بالقطع وفى ظل هذه الظروف يبدو غير لائق على الأقل . . ان مهمتى الوحيدة هى العواقب السيئة لمؤسسات شركة الليفانت ولنفوذ بعثة جلالته هنا ، لكن اذا ثبت ان مخاوفى لا أساس لها ، والموضوع جيد ، فان سفينة بريد مع ارساليات يمكن أن تأتى الى البحر الأحمر ، اننى بالقطع أفضل لو يعتقد الباب العالى اننى لم استشار ، وأننى كنت جاهلا بالموضوع ، على أن أحرض على رفض ثم بعد ذلك أكون مسئولا عن نتائج عدم الإهتمام بالأوامر الصادرة(٦٠) . والخطابات اشارة واضحة على أن نجاح أو فشل المشروع البريطانى كان فى يد (بالدوين) وحده .

لاتعرف جيدا جهود (بالدوين) فى مصر فيما بين ١٧٩٠ - ١٧٩٢ كانت مراسلاته الى الخارجية أو إلى (اينسلى) هزيلة ويمكن افتراض انه ، مع عدم تحقيق أى قدر من النجاح ، فإن (بالدوين) كان قلقا من أن تغلق الحكومة القنصلية . كانت هناك عقبتان عرقلتا (بالدوين) ، كانت الأولى هى المجاعة التى وقعت فى ١٧٩٢ ، أما الثانية فكانت الحرب المتواصلة بين (اسماعيل بك) من جانب ، وابراهيم ومراد من الجانب الآخر(٦١) . على أى حال ، فإنه مع موت (اسماعيل بك) فى ١٧٩٢ والدخول السلمى لإبراهيم ومراد إلى القاهرة ، بدأ التفاؤل يغمر نفسية (بالدوين) ، وفى بواكير ١٧٩٣ نجح فى الحصول على موافقتهما على ارساليات ، وصل بعضها بالفعل من الهند فى العاشر من ابريل على المركب وحيد الصارى المسمى (دريك) Drake (٦٢) . وفى نفس العام ارسل للهند أنباء عن قطع العلاقات بين انجلترا وفرنسا(٦٣) . ويبدو أن مسلك

(60) F.O. 78 Turkey 9, Ainslie to Carmarthen 8 Nov. 1788.
(61) F.O. 78 Turkey 15, Baldwin to liston 30 Oct. 1794.
(62) F.O. 78 Turkey 14, Baldwin to Ainslie 10 Apri 1793.
(63) Ibid.

البكوات نحو قضية التجارة الهندية الى مصر قد تغير قليلا ، ذلك أنهم أصروا على ضمان بأن يصادق الباب العالى على المعاهدة . على أى حال ، فإن (اينسلى) اعلن بالفعل عن عدم قدرته على الحصول على موافقة الباب العالى ، وظلت الأمور كما هى حتى سبتمبر ١٧٩٣ عندما استدعى (اينسلى) فجأة من قبل حكومته .

وفى الحال ، فإن (بالدوين)الذى كان مسرورا لاختفاء (بالدوين) من مسرح الأحداث ، أعطى البكوات تأكيدا بأن السفير التالى (ر .ليستون) R.Liston سيأتى بمصادقة الباب العالى[٦٤] . كانت مناورة ماكرة من جانب (بالدوين) ، لكنها بالقطع ورطت (ليستون) دون سابق انذار . وفى ٢٨ فبراير ١٧٩٤ أبرم (بالدوين) المعاهدة مع البكوات[٦٥] .

تكونت المعاهدة من ١٧ مادة . وفيما يتعلق بالرسوم ، فإنه كان يجب دفع (١٠٠ بوطافة) كرسوم على الرسو ، وتحددت الرسوم على البضائع الهندية بـ٦٪ (٣٪ تدفع بواسطة التاجر الإنجليزى بينما يدفع المستورد الباقى) ، وحددت الرسوم على بضائع البلاد الأخرى بـ ٣٪ . كانت باقى مواد الإتفاقية مطابقة تماما لمعاهدة (ابو الذهب ـ هاستنجز) . وفى النهاية فإن الوثيقة تؤكد على أن «التقيد (بالمعاهدة) لايبدأ قبل وصول الأوامر من الباب العالى فى القسطنطينية» .

كان (بالدوين) مستعدا لأرسال نسخة من هذه المعاهدة إلى لندن وأخرى الى بومباى فى يوليه[٦٦] . ولدى ارساله المعاهدة إلى (ر .ليستون) سأله

(64) F.O. 78. 15 Treaty between G. Baldwin and the Rulers of Egypt. 28 Feb. 1794.

(65) F.O. Turkey 15 Baldwin to Liston 30 Oct. 1794.

(66) Ibid.

أن يؤمن تصديق الباب العالى . مرت سنوات قليلة منذ الفترة الزمنية المحدودة التى كانت قد اعطيت (لبالدوين) لإبرام المعاهدة . ولقد كان بلا شك مدركا لحقيقة ان حكومته كانت تفقد الإهتمام تدريجيا بالموضوع برمته . وفوق هذا ، فإنه ما بين ١٧٨٧ و ١٧٩٢ لم يراسل الخارجية بانتظام . ويبدو كما لو كان (بالدوين) ليس مضطرا الى الحصول على موافقة الباب العالى على المعاهدة بل ايضا على موافقة حكومته[٦٧] . وفى خطابه الى رئيس ومجلس بومباى يقرر أن «التعليمات من وزراء حكومة صاحب الجلالة ضرورية لوضع المعاهدة موضع التنفيذ»[٦٨] ، والحقيقة أنه لم يحصل ابدا على هذه التعليمات .

على أى حال ، فإن (بالدوين) عند ارساله المعاهدة الى(ليستون) كتب بهذه الصيغة «إننى آسف ان الظروف ربما استلزمت ضغوطا على اجراءات سعادتكم الخاصة ، لكن طبيعة الحالة قد فرضت ذلك على»[٦٩] . كان (بالدوين) يعتقد أن موافقة الباب العالى يمكن الحصول عليها بسهولة بعد اختفاء (اينسلى) : الذى أبدى معارضة شخصية للإجراء فى كل الأوقات من السفارة البريطانية[٧٠] . يُلقى البروفيسور (هوسكنز) Hoskins ، الذى يميل الى أن يكون متعاطفا نحو (بالدوين) ، يلقى بتبعة الفشل الذى أصاب الخطة البريطانية ، على (اينسلى) . ومع هذا ، فإنه يمكن الإشادة ، إلى أن سلوك السفير الجديد نحو الموضوع دليل على خطأ اعتقاد (بالدوين) وسوء تقدير (هوسكنز) . وفى الحقيقة فإن نفور (اينسلى) لم يكن راجع الى وجهات نظرة الشخصية ، بقدر ما كان لطبيعة مهمته هو . فى الرابع والعشرين من يناير ١٧٩٥

(67) F.O. 78. Turkey 15, Baldwin to Greenville 10 Oct. 1794.
(68) H.M. 634. 2 July1794 .
(69) F.O. 78. Turkey 15, Baldwin to Liston 30 Oct. 1794.
(70) F.O. 78. Turkey 15, B. to G. 10 Oct. 1794.

كتب (ليستون) إلى (جرنفيل) Grenville «ان الصعوبة فى الحصول على موافقة الحكومة العثمانية على إجراء كانت قد رفضته بشكل مطرد ، تبعا لتحيزات دينية وسياسية ، تدفعنى إلى الرغبة فى الحصول على تعليمات اضافية من فخامتكم قبل أن أفاتح الباب العالى حول هذا الموضوع . ومن أجل إعطاء الوقت لمستر (بالدوين) ، فقد كتبت له أننى يجب تأخير وجهة نظرى فيما يتعلق باحتمالات النجاح هنا ، حتى أكون متعرفا بطريقة افضل على الطبيعة الدقيقة للترتيبات المقترحة . . . ولقد واظب على الإفتراض بأن العقبات التى كانت تعترض هذه الصفقة حتى الآن كانت نتيجة لنفور سلفى فى السفارة ، والذى كانت لديه اختلافات شخصية حادة منه . لكننى أجد أنه بالقراءة والدراسة اللطيفة للمراسلات الرسمية ان اللوم الملقى على سير (ر . اينسلى) بخصوص هذا الموضوع ليس له اساس .

«إن الخفة التى عالج بها (مستر بالدوين) الموضوع قد ألقت به فى درجة الأرتباك والقلق . لإننى أجد صعوبة فى إمكانية الحصول على موافقة السلطان على الترتيبات المطلوبة . ان التعليمات التى اعطيت الى سير (ر .اينسلى) بخصوص هذا الموضوع كانت مؤسسة على افتراض ان الباب العالى قد يصدق على معاهدة مماثلة كانت قد ابرمت فى السنة السابقة لصالح الفرنسيين ،لكن هذه الحالة لم تحدث ابدا . ان الفكرة العامة عن عدم ملائمة وخطورة فتح الملاحة فى البحر الأحمر للأمم المسيحية لاتزال غالبة هنا بنفس القوة كالسابق . وفى الحقيقة ، فإنه حتى فى لحظة القطع الأخير للعلاقة بين هذه الدولة وروسيا ، عندما اعتبرت الصداقة مع بريطانيا العظمى ضرورية للغاية وحالة : عندما يكون عضوان اساسيان فى الإدارة مرتبطان بوضوح السفير وحائزان لسلطات غير محدودة ، فإن كل ما كان يمكن انتزاعه هو وعد بحرية نقل

الطرود . ومع الحدس الحالى فانه لاتوجد بارقة لظروف طيبة . ويجب أن يلاحظ على وجه الخصوص انه لايوجد فى الوزارة التركية أى رجل ذو وزن أو تصميم ليقوم بمبدأ كهذا وهو مطمئن»[٧١] .

وفى الحقيقة فان طلب (ليستون) لتعليمات كان ضروريا جدا ، حيث أن آمال (بالدوين) كانت قد بدأت فى التقلص مع حلول يونيه ١٧٩٥ . فى المقام الأول ، كانت هناك عدم القدرة الواضحة (لليستون) فى الحصول على موافقة الباب العالى . ثانيا استمر العرب فى مهاجمة المسافرين البريطانيين بين السويس والقاهرة[٧٢] . ثالثا ، كان هناك «الوهابيون» أو ثوار الجزيرة العربية ، الذين كانت حركتهم واضحة منذ نوفمبر ١٧٩٣ ، كان هؤلاء ينشرون نفوذهم بسرعة لدرجة أنه فى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر أصبحت التجارة الهندية فى البحر الأحمر وإلى البصرة مهددة[٧٣] . وفوق هذا كله ، تبقى الحقيقة أن الحكومة البريطانية ، منذ ١٧٩٢ كانت تفقد إهتمامها تدريجيا فى مصر .

كان السبب الأولى الذى حرض الحكومة البريطانية على ارسال (بالدوين) هناك ، المعاهدة الفرنسية على وجه التحديد ، أصبح بالتدريج مطولا مع فشل المشروع الفرنسى . عندئذ وجدت الشركتان المتعاديتان المختصتان ، وجدتا حليفا فى شخص (جرنفيل) . قبل الحملة الفرنسية كان (جرنفيل) مقتنعا بعدم أهمية وضع مصر الجغرافى للمتلكات البريطانية فى الهند ، وغير واع بإمكانية استيلاء الفرنسيين على البلد (مصر) . وفى حالة حماس اقتصادى زائدة ، اكتشف (جرنفيل) فى ابريل ١٧٩٢ أن (بالدوين) كان يسحب حوالى ١٤٠٠ جنيه فى العام ، واقترح (جرانفيل)على (هنرى دونداس) أنه حيث ان المكتب القنصلى فى مصر كان قليل الفائدة ومكلف فإنه يجب

(71) F.O. Turkey 16. Liston to Grenville 24 Jan. 1795.
(72) F.O. 78. Turkey 16. Liston to Grenville? June. 1795.
(73) F.O. 78. Turkey 19. A letter from Bagdad 13 March 1798.

اغلاقه[٧٤] . ومع هذا ، فقد قوبل هذا الإقتراح باقتراح مضاد . فى بواكير ١٧٨٥ أتخذ (دونداس) موقف عاطف على خطط (بالدوين) . وتحقق من ضرورة وجود سياسة بريطانية نشطة فى مصر والشرق الأدنى . وكان مدركا لحقيقة أن بريطانيا قد تجد صعوبة فى الحفاظ على وضعها فى الهند اذا تلقت أى قوة وطنية يمكن أن تصنف ضد بلاده ، مساعدة من فرنسا عبر مصر أو من روسيا عبر فارس . وبعد تلقيه تقريرا مطولا من الماجور(فوربس ماكدونالد) Forbes Macdonald ينصح فيه باحتلال بريطانى لمصر[٧٥] ، أصر فى الحال على أن عمل (بالدوين) كان حيويا للمصالح البريطانية الهندية . ومع هذا ، فبعد شهور قليلة جدد (جرنفيل) هجومه ، وكانت القنصلية وقتئذ تكلف ٢٠٠٠ جنيه بدلا من ١٤٠٠ جنيه .

اشار (جرانفيل) الى أنه إذا كانت الخدمات التى يقدمها (بالدوين) ذات قيمة بما فيه الكفاية لشركة الهند الشرقية لتبرر تكاليف المؤسسة ، فان الموقع القنصلى يمكن أن يستمر ، وإلا فلا[٧٦] . كانت هذه المجادلة نهائية وتم فصل (بالدوين) فى الثامن عشر من فبراير ١٧٩٣ . ورغم ان (دونداس) اعتبر هذه الخطوة غير ملائمة بشكل كبير ، فإنه لم يفعل شيئا حيالها[٧٧] . ومما لاشئ يؤكد التوقيت غير المناسب لطرد (بالدوين) أكثر من حقيقة انه حدث فى نفس اليوم الذى وصلت فيه انباء اعلان فرنسا الحرب الى انجلترا[٧٨] . على أى حال ، ولأسباب غير معروفة فان (بالدوين) لم يتلق اخطارا بفصله إلا فى اكتوبر ١٧٩٥ . ورغم الإحباط المرير الذى سببه هذا الفصل ، فقد قرر البقاء فى مصر محاولا تنفيذ معاهدته .

(74) H.M.C. Dropmore 11. 273, Grenville to Dundas 1 April 1792.
(75) Mel. Mss. "Ld. M'SE. I Cat". Mac Donald to Dundas August 18,1791.
(76) H.M.C. Dropmore II. 373. Grenville to Dundas 25 Jan. 1793.
(77) Ibid., P. 621. Dundas to Grenville 17 Aug. 1794.
(78) Furer, H. Henry Dundas; First Viscount mdville 1931. p. 118.

جاء إغلاق القنصلية البريطانية فى مصر فى وقت كان الوكلاء البريطانيون فى الشرق الأدنى والهند قلقين اكثر من أى فترة فى القرن الثامن عشر نتيجة للجهود الفرنسية هذا البلد . كان قد أشير الى تقرير الماجور (ماكدونالد) المرفوع الى (دونداس) فى ١٨ اغسطس ١٧٩١ . أصبح الكابتن (چون تايلور)John Taylor المستخدم فى شركة الهند الشرقية ، وعضو لجنة موظفى الهند ، أصبح مهتما بالطريق البرى عبر مصر فى نهاية ١٧٩٠ . ولم يستطع أن يخفى اندهاشه للإهتمام القليل الممنوح لـ . . للمواصلات مع انجلترا بواسطة برزخ السويس[٧٩] . فى الخامس من نوفمبر سنة ١٧٩٠ ، رفع تقريرا مفصلا الى (سير روبرت ابركرومبى) Robert Abercrombie ، نصح فيه بشدة ضرورة اقامة اتصال سريع بين انجلترا والهند فى زمن الحرب ، ورغم انه لم يعتبر المجادلات الصادرة عن شركة الهند الشرقية فيما يتعلق بالتجارة الهندية مع مصر كافية ، فإنه مع هذا ، اعتقد أنه قد يكون من الأفضل استخدام الطريق للمخابرات فقط . وذهب إلى أبعد من ذلك بسؤاله سير (چيه أبركرومبى) أن يأذن بعمل ـ مع بداية الأرساليات التالية إلى انجلترا ـ بحث فى البحر الأحمر ، فى سفينة جيدة التسليح وتحمل خطابات توصية الى (بك) القاهرة ، وحاكم السويس[٨٠] .

وفوق هذا ، فقد اقترح ، القيام بزيارة الى (القصير) لإزالة الآثار السيئة الناجمة عن مشادة طاقم المدمرة (كوفنترى) مع سكان هذا المكان[٨١] . ولو صح ماذكره (تايلور) ، فان (ابركرومبى) أعطى اهتماما للتقرير وباحث (الكومودور ويليام روبنسون)William Robinson الذى أقر الخطة . شجب فنيو الخدمة البحرية فى الشركة هذه الخطة ، وكان (ايركرومبى) قد استشارهم أيضا ، وكانت النتيجة هى ان شركة الهند الشرقية رفضت الموافقة عليها[٨٢] .

(79) I.O.H.M 430 (2) Taylor's report to Abercrombie, 1790 .
(80) Ibid.
(81) Ibid.
(82) Ibid.

فى سبتمبر ١٧٩١ وبينما كان (تايلور) Taylor فى لندن قدم الى (دونداس) تقريرا مفصلا فى ستين صفحة عن الموضوع . فى هذا التقرير تعامل (تايلور) مع الضرورة العظمى للمواصلات بين انجلترا والهند عبر مصر . الملاحة فى البحر الأحمر ، السفن التى تستخدم ، تعيين عملاء بريطانيين فى موانى البحر الأحمر والبحر المتوسط ، وسائل الحصول على موافقة الباب العالى ، وأخيرا اقتراح بعمل بحث فى البحر الأحمر على مسئوليته(٨٣) .

ولايوجد دليل ، مع هذا ، على أنه قام بالبحث . فى ١٧٩٥ نشر تقريره بعنوان
"Considerations on the Practicability and advantages of a more Speedy Comm. Unicotion between Great Britain and her Possessions in India"

وهو عمل كان مبنيا أساسا على عمل الكولونيل(چيمس كابر)James Capper
"Observations on the passage to India".

فى ٤ نوفمبر ١٧٩٦ كتب (سير مارك وود) Mark Wood الذى سبق أن قام برحلة من انجلترا إلى الهند عبر مصر ومؤلف
" The importance of Malfa Considered in the years 1796 and 1798"
كتب إلى (بت) و(دونداس) مشيرا إلى أهمية وجود مؤسسة بريطانية فى مصر ومعطيا تحذيرا من المشروعات الفرنسية هناك والتى يمكن أن تعرض الممتلكات البريطانية فى الهند للخطر(٨٤) . وقبل تسعة أشهر من كتابة هذا التقرير ، كتب (سير سدنى سميث) Sydney Smith ، الذى كان فى الليڤانت خلال عامى ١٧٩٢ - ١٧٩٣ ، الى (جرنڤيل) بخصوص المؤامرات الفرنسية

(83) Ibid.
(84) Spencer papers II, 437- 49 & Rose, H. Bonapart'e's Eastern Expedition. Eng. Hist. Rev. 44, p. 54.

فى مصر ، وهى نتيجة ستمكنهم من تحقيق مشروع تحويل التجارة الهندية (فيما يختص بجنوب أوروبا) إلى القناة القديمة بالصحراء والبحر الأحمر ، جاعلين تجارتنا تكاد تكون قاصرة على استهلاكنا الحال . . .»وانطلق بعد ذلك ليشرح عجز القوة الحربية للمماليك ، سهولة هزيمة البلد (مصر) ، « أما وقد ايقظت ، كما آمل ، اهتمامكم لإمكانية حدوث شر لنا كهذا ، فإنه يجب ان نرى ان كنا لانستطيع تفاديه»[٨٥] . كانت الحكومة مستغرقة فى الحرب مع فرنسا الثورية إلى حد أنها أعطت هذه التقارير اهتماما قليلا ، رغم أنها لم تتجاهلها تماما .

إن وجهة النظر المقبولة لدى المؤرخين هى أن الحكومة البريطانية قد أخذت على غرة فيما يخص الحملة الفرنسية ، إذا ما كان هذا الموضوع محل نقاش . ومن الممكن بشكل كبير أن تكون الطبيعة المحافظة للسياسة الخارجية البريطانية هى التى أعاقت اتخاذ اجراءات نشطة فى مصر .

السؤال الذى يطرح نفسه هو : ما الذى كان يفعله (بالدوين) فى الفترة ما بين فصله ورحيله عن مصر؟ لقد سهل نقل الإرساليات من انجلترا الى الهند . فى سبتمبر ١٧٩٦ أرسل الممثل الفرنسى الى حكومته بأن «المواطن) (ثينيفيل) Thainville ، اثناء سياحته فى القاهرة شاهد وصول ثلاثة سفن انجليزية إلى السويس[٨٦] . وفيما بعد ، فى سنة ١٨٠١ قرر (بالدوين) نفسه أنه أرسل فى سنة ١٧٩٦ إلى الأدميرال (الفينستون) Elphinstone فى الهند أنباء عن أسطول هولندى متجه إلى رأس الرجاء الصالح[٨٧] . وكان (دونداس) حتى أغسطس ١٧٩٥ لايزال يستعمل الطريق البرى عبر مصر كما هو واضح من

(85) H.M.C. Dropmore Papers IV. P.P. 2 - 5. 13 Jan. 1795 .
(86) Arch Not. (Marine) et A Ambassade de France a constantinople (Sept. 1796) 16 Fructidor an Iv. Charles - Roux, L'Angleterre, p.338.
(87) Baldwin, Politcal recollections, p. 29.

مـــراســـلاته مع ســيــر (ج اليـــوت) G. Elliot ، الـمـمـثـل البـــريطانى فى(باستيا)Bastia(٨٨) والسؤال وثيق الصلة بالموضوع هنا هو «كيف لدونداس ، الذى عرف بفصل (بالدوين) فى فبراير ١٧٩٣ ، ان يستمر فى استخدام الطريق البرى عبر مصر دون أن يخطر (بالدوين) بفصله؟» . إذا أمكن توضيح هذه النقطة ، فإنه يكون من الممكن تفسير التأخير غير المبرر فى إبلاغ(بالدوين) بفصله .

خلال ذلك الوقت كان (هوج كليجهورن) HughCleghorn (الأستاذ السابق للتاريخ المدنى فى جامعة سانت اندروز فى أوروبا) ، على علاقة مع كونت (شارلز دى ميوررون) Charles de Meuron من (نيوشاتل) Newchatel بسويسرا ، وقائد فرقة من ١٢٠٠ رجل ، متمركزين فى(سيلان) فى خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية وتحت قيادة أخيه . كان الكونت مستعدا لبيع فرقته للخدمة البريطانية . لدى عودته الى الوطن ، عرض (كليجهورن) الخطة أمام (دونداس) فى بدايات ١٧٩٥ ، وفى فبراير خول (دونداس)(كليجهورن) بأن يباحث الكونت ، وفى حالة النجاح ، فإنه يأمره بالتقدم الى (سيلان) ، بالطريق البرى عبر مصر ، أخذا الكونت معه إذا كان ذلك ممكنا(٨٩) . فى منتصف عام ١٧٩٥ وصل كلا من(كليجهورن) و(دى ميوررون) الى الإسكندرية وزارا فى الحال (بالدوين) الذى ابلغهما أن القنصل الهولندى كان يتوقع إرساليات من هولندا مرسلة الى الشرق . وعلى ذلك فإن خطة أعدت كان على (بالدوين) بمقتضاها إما أن يرشو القنصل الهولندى أو أن يرتب القبض على الرسول الذى قد يرسله القنصل بالإرساليات ويسرق منه الإرساليات المذكورة(٩٠) . من المفارقات المضحكة ان (بالدوين) الذى كان يضج بالشكوى فى ١٧٧٩عن الإستيلاء وسرقة القوافل البريطانية بواسطة البكوات ، قد أصبح الآن يلعب دور السارق .

---

(88) Melville Mss. 3112 No. 50. Elliot to Dundas 14 Aug. 1795 (Nat.Lib. Scot)
(89) Furber, P.P. 108 - 109 .
(90) Cleghorn papers.p. 54. Cleghorn to Baldwin, 10 June 1795.

كان (كليجهورن) عالما بأحوال مصر جيدا ، والفضل فى ذلك يرجع الى (كارلوروزيتى) Carlo Rozetti الذى اعجب (كليجهورن) بشخصيته واقتنع بنفوذه عند البكوات ، فوثق به . خدع(كليجهورن) نفسه بالنسبة لقدرات (روزيتى) فى أن يكون خبيرا بارعا (aufait) بموضوع المواصلات البريطانية عبر مصر وانتهى الى نتيجة مفادها ان الرعايا البريطانيين قد أساؤا إلى حكومتهم لكى يحصلوا على اهدافهم . وكانوا مسئولين عن المساوئ التى اكتنفت محاولات تأسيس المواصلات البريطانية عبر مصر[٩١] . اعتقد (كليجهورن) ان معاهدة ١٧٩٤بين بريطانيا العظمى والبكوات لا يمكن أن تنجز ما لم تعامل الحكومة البريطانية البكوات بعناية مفرطة[٩٢] . لذلك فقد اقترح ان يعين (روزيتى) كنائب (لبالدوين) فى القاهرة ، جزئيا لأن الأخير كان له نفوذ كبير على البكوات ، وجزئيا لأن (بالدوين) كان يقيم فى الإسكندرية . وفوق هذا ، فقد كان يجب استرضاء البكوات بأى ثمن . ويبدو تأثير (روزيتى) بوضوح فى تحليل (كليجهورن) الدقيق لشخصية البيكين . الحاكمين[٩٣] . وانطلق (كليجهورن) ليتحرى إمكانيات تكوين «صلة بين انجلترا ومصر يمكن معها أن تستمد بعض الأهمية ، ونحرم فرنسا من بعض الأدوات الأساسية للتجارة» . كان هناك نقص للذرة فى انجلترا منذ ١٧٩٣ ، وطوال فترة الحرب مع فرنسا الثورية[٩٤] . وعلى ذلك فقد اعتقد (كليجهورن) انه يمكن لمصر تزوير انجلترا بالأذرة الى جانب الملح الصخرى . ورأى أن التصدير لن يكون مفيدا فقط

(91) Ibid., P. 60 Cleghorn to Dundas 17 June 1795.
(92) Ibid., P. 62 - 65 Cleghorn to Dundas 25 June 1795.
(93) Ibid.
(94)W.Cunningham, The Growth of English Industry & Commerce in Modern Times. (Laissez Faire) Combridge 1921.

بصورة مباشرة للجهد الحربي البريطاني ، بل أيضا سيحرم فرنسا بصورة غير مباشرة من هذه الأشياء[٩٥] . واقترح على (دونداس) عمل عقد ، ليس مع البكوات ، ولكن مع (روزيتي) الذى كان يمتلك منطقة كبير للملح الصخرى على ضفة النيل وكان مستعدا لإعداد إنجلترا بخمسة الاف «منظار» فى السنة ، واقترح أن يتولى مستر (أودنى) Udney من (ليجهورن) Leghorn التباحث مع (روزيتي) باعتباره الشخص المناسب لذلك[٩٦] . كان واضحا ، اقتناع (كليجهورن) بضرورة استرضاء البكوات بكل وسيلة ممكنة لتطوير أى علاقة بين مصر وإنجلترا . كانت سفينة(مراد بك) قد قبض عليها فى البحر المتوسط بمعرفة القراصنة المالطيين ، وقد اعتقد (كليجهورن) نتيجة حث من جانب (روزيتي) ، أنه إذا أمكن اعادة السفينة الى (مراد) من خلال جهود القنصل البريطاني أو (رهبان مالطة) ، فإن الحدث يمكن ان ينتج عنه مشاعر طيبة عند البكوات تجاه البريطانيين . وعلى ذلك ، ففى السادس والعشرين من يونيه سنة ١٧٩٥ كتب (كليجهورن) الى (سير و . هاميلتون)W. Hamilton الوزير المفوض البريطاني فى (نابولى) ، مبلغا إياه بالموضوع وسائلا إياه أن يبذل قصارى جهده ليعيد السفينة الى (مراد) . «إننى أستطيع أن أؤكد لك» قال (كليجهورن) فى خطابه «أن استعادة هذه السفينة ، من خلال المساعى الحسنة لوزير بريطاني ، قد يسهم أساسا فى تقوية مصالح جلالته فى مصر . . . وزيادة ممتلكات انجلترا فى الشرق ، ويكون اهتماما طبيعيا لازم لنا نحو القوة الحاكمة هنا ، ولا شئ فى الوقت الحاضر يسهل اغراضنا ، ويكون موافقا (لمراد بك) اكثر من استعادة هذه السفينة ، وهو هدف يبدو أنه متلهف على تحقيقه»[٩٧] .

---

(95) Cleghorn papers.p.p. 62 - 65, Cleghorn to Dundas 25 June 1795.
(96) Ibid.
(97) Ibid.p.p. 66, Cleghorn to Hamilton 21 June 1795.

يبدو أن موضوع إمداد مصر القمح والملح الصخرى إلى بريطانيا كان فى ذهن(بالدوين) فى نفس الوقت . ففى المقام الأول ، كتب الى (ريتشاردلى) Richard Lee فى ١٨ يونيو ١٧٩٥ عن امكانية تصدير ٥٠٠,٠٠٠ «قنطار» من الأذرة الى انجلترا[٩٨] . ويبدو أن الإثنان (بالدوين ولى) انتظرا حتى سبتمبر عندما يكون الفيضان قد حدد مستقبل المحصول . فى الثالث من سبتمبر كتب (بالدوين) الى (لى) مقررا ان الفيضان كان مشجعا ، وأن الكمية المقدرة يمكن فى الحقيقة أن تصدر إلى انجلترا ، وسائلا إياه ان يرفع مقترحاته الى المجلس الخصوصى[٩٩] . وفيما بعد ، فى ٢٩ مارس ١٧٩٦ ، كتب (بالدوين) الى (جرانفيل) عن نفس الموضوع[١٠٠] . قدر (بالدوين) ثمن الخمسمائة ألف قنطار بسبعمائة وخمسون ألفا من الجنيهات واقترح أنه بالمشاركة مع آخر (ترك بالدوين اختيار هذا الآخر لجرانفيل) يجب أن يعملا كوكيل بالنيابة عن الحكومة البريطانية لإعمال هذا العقد ، الذى قرر أنه يوفر لإنجلترا ١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . وفوق هذا ، فقد اقترح على (جرانفيل) ضرورة الحصول على فرمان من الباب العالى بالموافقة . وبهدايا بلغت قيمتها ٥٠٠٠ جنيه اعتقد (بالدوين) ان البكوات سوف يوافقون على الصفقة . وليواجه المؤامرات الفرنسية ضد الخطة ولحماية الأذرة فى طريقها الى انجلترا ، طلب (بالدوين) ظهور عدد قليل من (الفرقاطات) البريطانية وسفينة أو اثنان من سفن الخطوط عند الإسكندرية . وفى نفس الوقت ، كتب أيضا إلى (بت) ، لكن لايوجد أى دليل ان كل هذه المشروعات قد جذبت انتباه الوزارة .

(98) 18 June 1795. Chatham papers, 111& F.o. 24, Egypt 1.
(99) Ibid.
(100) Ibid., In the same terms he wrote to pitt on 24 March 1796 (Chatham papers 361) .

زعم (بالدوين) انه خلال الفترة (١٧٩٥ ـ ١٧٩٨) قد أحبط المشروعات الفرنسية . لم يحدث وصول (ماجللون) Magallon الى القاهرة كقنصل عام مصحوبا بهدايا ضخمة ، لم يحدث تأثيرا كبيرا ان لم يكن قد احدث اثرا بالمرة على سلوك البكوات تجاه التجار الفرنسيين فى مصر ، الذين طلبوا تدخل حكومتهم . لم تغير الثورة شيئا من سياسة فرنسا تجاه مصر . فى (باريس) فحصت «لجنة الخلاص الخارجية» شكاوى التجار الفرنسيين فى مصر وأمرت (ديسكورش) Descorches بأن يلتمس من الباب العالى ان يتخذ اجراءات . وفوق هذا فقد اقترحوا على (ماجللون) «ان يدخل فى روح البكوات مساحة من التحول» .

ومع هذا فان (ماجاللون)[١٠١] لم يقم بأى إجراء وفى ابريل ١٧٩٥ انتقل إلى الاسكندرية مع بعض التجار الفرنسيين . كان من رأى السفير الفرنسى الجديد (فيرنيناك)Verninac ، أن إجراءات لابد أن تتخذ لإعادة قيام تجارة فرنسية فى القاهرة ، وللحصول على الضمانات التى لاغنى عنها للحفاظ على وضع التجار ، وأخيرا لطلب تعويضات من البكوات . كانت هذه الأمور هى على وجه التحديد أهداف بعثة أوكلت لوكيل من «لجنة الخلاص العام» ، (مسيو دوبوا ـ ثيانڤيل) M. Dubois - Thainville ، الذى وصل إلى الإسكندرية فى ٢٠ أكتوبر١٧٩٥ . كتب (ليستون) فورا إلى(بالدوين)مبلغا إياه بالبعثة الفرنسية مطالبا منه أن يكون يقظا ضد خططها ، التى اعتقد أنها الإستيلاء على التجارة السويس ــ هندية لصالح الجمهورية (الفرنسية) . «لكنه من الطبيعى ان حربا كاملة اوروبية كالتى تشارك فيها انجلترا ضد فرنسا ، تجعل مهمة الفرنسى فى مصر متحفزة وتوقظ لشك لدى الدبلوماسية البريطانية والشبهة من تجربة فرنسية للإتصال بالهند عن طريق السويس . هكذا كتب (م . شارلرد)[١٠٢] . على أى حال ، ان القضية

(101) Charles - Roux, L'Angletrre... etc. p.p. 336 - 339.
(102) Ibid., p. 336.

لم تكن قضية حرب ، لقد كانت قضية حساسية تجاه أى منافسة فرنسية فى التجارة الهندية ، حساسية تجعل الوكلاء البريطانيين فى القسطنطينية والقاهرة يأخذون أى نشاطات فرنسية فى مصر خلال القرن الثامن عشر كما لو كانت موجهة ضد التجارة البريطانية فى الهند . وقد كتب (بالدوين) «فى سنة ١٧٩٦ كان على أن اقاوم بعثة عامة مكلفة تحت وكالة (ثيانفيل) . . ، الذى وصل الى القاهرة خصوصا لإغواء بكوات مصر على الموافقة على الخطط الفرنسية وعلى وجه الخصوص على موافقتهم على مشروعهم المتعلق بإمرار جيش عبر مصر ، الى جزر الهند الشرقية ، بواسطة البحر الأحمر لتقوية (تيبو) ونهائيا تدمير الممتلكات البريطانية فى جزر الهند الشرقية : وقد قاومتها[١٠٣]» . ولما كنا نعرف أنه كان مخطئا حتى فيما يتعلق بأهداف البعثة ، فإننا يجب أن نعامل شهادته بتحفظ كبير ،خاصة انها قد كتبت فى سنة ١٨٠١ بعد حدوث الحملة الفرنسية ، أى فى وقت كانت أهداف الخطة الفرنسية قد احتجت مقبولة كالهند .

لم تنجح بعثة (ثيانفيل) . وترك (ماجللون) البلاد فى يولية ١٧٩٧ بعد شكاوى متكررة إلى حكومته من سوء معاملة البكوات ، ووصل الى باريس فى أكتوبر ، عندما كانت الاستعدادات (لكامبو فورميو)[*] Campo - Formio تجرى . وفى ٩ فبراير ١٧٩٨ قدم تقريره الذى أصبح الآن شهيرا عن امتلاك مصر ، معلنا أن هذه هى أفضل السبل لتدير القوة البريطانية فى الشرق .

(*) تسوية سلمية وقعت فى ١٧ أكتوبر بين فرنسا والنمسا ، أنهت المرحلة الأولى من «حروب فرنسا الثورية» . كنتيجة لحملات (نابليون بونابرت) الإيطالية الناجحة ، اضطر النمساويون الى توقيع معاهدة سلام مبدئية فى ١٨ أبريل ١٧٩٧ فى (ليبون) Leoben فى (كامبو فورميو)Campoformio تنازل النمساويون عن الأراضى النمساوية المنخفضة (بلچيكا الآن) والجزر الأيونية لفرنسا ، واعترفوا بجمهورية الألب الايطالية Cisalpine Republic المشمولة بحماية فرنسا الخ امتيازات أخرى لفرنسا الثورة (المترجم)

- Lexicon Universal Encyclopedia - vol. 4 - p., 67 - Lexicon Publications, Inc. New York, N.Y. 1983 .

(103) Political Recollections, pp., 29 - 30.

ومثل (ماجاللون) كان (بالدوين) لايقل اقتناعا بأن التعاون مع البكوات كان تافها . فى ابريل ١٧٩٨ كتب الى القائم بالأعمال البريطانى فى القسطنينية «إننى لا أتخيل ان تكون مصر مطمعا للفرنجة بعد الآن نتيجة للطغيانة الزائد لمراد بك» الذى جعلهم مؤخرا يفهمون بأسلوب عملى وبواسطة ذيله (كريم)(**) فى الإسكندرية وعلنا ان القناصل لايعنون شيئا عنده ، وأنه سيستمر فى اقتضاء واغتصاب مايريد كما كان يفعل ودون احترام لأى أحد . إن روحا مماثلة تغزو الكيان المملوكى كله(١٠٤) .

بلغت معاناته الشخصية منتهاها عندما ترك الإسكندرية فى ابريل ، عجوزا ، شبه أعمى ، ويعانى من مرض فى ساقه . وفى طريقه الى انجلترا عبر (تريستا) ، كتب خطابا مؤثرا إلى (دونداس) ، عبر فيه عن ثقته فيه كصديق لايحب أن يصاب بأى ضرر ، وعزا كل مشاكله إلى عدم وصول ارسالية جرانڤيل له . وانتهى الخطاب بتحذير بأن (بونابرت) Bonaparte فى طريقه الى مصر ، التى سينجح فى فتحها ما لم يستطيع (نلسون) Nelson أن يهزمه(١٠٥) . وفى مستشفى للأمراض السارية Lazaretto فى تريستا ، قَيَّم سنوات عمله الكثيرة فى مصر بأنها فاشلة . فى أول يوليه وصل (نلسون) المتلهف فى البحث عن الأسطول الفرنسى إلى الإسكندرية ليكتشف أن لاقنصل بريطانى كان هناك .

(**) المقصود هو (محمد كريم) مدير جمرك الاسكندرية اثناء غزو (نابليون) لمصر . ولد فى الاسكندرية وكان فى الأصل وزانا للبضائع ثم ترقى حتى أصبح مسئولا عن الجمرك والحسابات . نظرا لمقاومته احتلال نابليون للاسكندرية ، فقد اعتقله (كلبير) Kleber فى ٢٠ يوليو ١٧٩٨ ، وسجنه فى برج ميناء (أبى قير) ، ثم نقل الى القاهرة ، حيث حوكم امام (نابليون) الذى طالب بفدية مالية (لانقاذ حياته) مهلتها ١٢ ساعة . عندما لم يتضح قرب دفع المبلغ عذب وأهين ، وأعدم بواسطة فرقة الإعدام . رفعت رأس (كريم) المقطوعة على عامود مع اعلان يقول (هذا هو جزاء من يعارض الفرنسيين) . استخلص اقاربه الرأس ودفنوها مع جسده . ينظر المصريون الى المترجم كبطل شعبى من الزمن المبكر . (المترجم)

(104) F.o Turkey 21 19 April 1798.

(105) Ml. Mss. lot 754, Baldwin to Dundas, Trieste, July 6 , 1798 .

APPENDIX lll.
British Diplomatic Representatives in Constantinople 1775 - 1803

John Murray (Ambassador)		1765 -1775
Antheny Hayes (Charge d'affaires)	May	1775 -Oct.1776
Sir Robert Ainslie (Ambassador)		1775 - 94
Robert Liston (Ambassador)		1794 - 5
Spencer Smith (Charge d'affaires)	Nov.	1795 - Dec. 1799
Francis James Jackson (Ambassador)		Appointed July 1799. Resigned Without Taking up appintment
Thomas. Eari of Elgin (Ambassador)		1799 - 1803

APPENDIX II.
British Consuls and Representatives in Egypt
1775 - 1802

George Baldwin (Agent of the East India Company)	1775 - 1779
No Consul or representative	1779 - 1785
George Baldwin (Consul)	1786 - 1793 (Dismissed in 1793 The Order reached him 1796. Left Egypt March 1798)
	1793 - 1803
No consul	

APPENDIX VI.
George Baldwin after 1798

On The eve of the British Expedition to Egypt to expel the French, he was asked by Lord Keith who was " of opinion" that Baldwin's "Knowledge and experience will be most essential to us", to join the British army at Malta. He was usefully and effectiely employed by the British Command during the Expedition until Abercromby's death. When he returned to England at the Settlement of the Egyptian question, he was not of the opinion that they should come out of the struggle with clean hands. England did not expel the French for hte "beaux yeux" of the Grand Signor, but in defence of her interests, and was prepared to send the Sultan the annual tribute which the Beys were Supposed to pay, but never did. His return to England, however, enabled him to the case of his dismissal from the consulate before the Treasunry at the beginning of 1803. The case is a lengthy and complicated one. In April 1803, after the judgment of the Attorney General, Baldwin was paid £ 7.000 for salary and allowance covering the period in dispute. In 1813 he was paid £400 (dating 5/1/1813) as the pension of post consul in Egypt. Even then he was not satisfied but the matter came to an end in April 1820 When the Assistant Secretary, to the Treasury wrote to him, "I have it in command to acquaint you that my Lords... cannot again open the consideration of the subject". Baldwin died six years later.

Cont.

APPENDIX V (B)
Passages to India

	Bombay				Madras				Bengal			
	Longest	Shortest	Mean	No	Shortest	Longest	Mean	No	Shortest	Longest	Mean	No
August												
By Bussorah												
By Suez												
By Sea												
September												
By Bussorah	237	"	"	1	"	"	"	"	"	"	"	"
By Suez	"	"	"	"	"	"	"	"	279	"	"	1
By Sea	252	"	"	1	210	"	"	1	208	"	"	1
October												
By Bussorah	162	"	"	1	"	"	"	"	180	199	187	3
By Suez	"	"	"	"	171	"	"	1	"	"	"	"
By Sea	"	"	"	"	167	280	213	4	148	"	"	1
November												
By Bussorah	140	170	157	6	218	"	"	1	151	"	"	1
By Suez	148	"	"	1	"	"	"	"	188	"	"	1
By Sea	168	"	"	1	"	"	"	"	164	"	"	1
December												
By Bussorah	106	314	148	8	"	"	"	"	189	"	"	1
By Suez	"	159	125	7	"	"	"	"	158	206	182	2
By Sea	201	206	203	2	"	"	"	"	163	205	185	4

APPENDIX V (B)
Passages to India

	Bombay				Madras				Bengal			
	Shortest	Longest	Mean	No	Shortest	Longest	Mean	No	Shortest	Longest	Mean	No
January												
By Bussorah	162	174	168	2	182	194	188	2	253	__	__	1
By Suez	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
By Sea	155	"	"	1	140	211	169	19	"	"	"	"
February												
By Bussorah	156	"	"	1	117	176	146	2	135	"	"	1
By Suez	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
By Sea	170	186	175	3	137	202	164	3	251	262	259	2
March												
By Bussorah	"	"	"	"	167	232	192	3	185	""	"	1
By Suez	"	"	"	"	101	"	"	1	"	"	"	"
By Sea	119	161	140	8	131	168	154	11	"	"	"	"
April												
By Bussorah	139	"	"	1	"	"	"	"	"	"	"	"
By Suez	45	"	"	1	95	281	188	2	115	"	"	1
By Sea	124	246	170	7	112	209	150	7	176	177	"	2
		185	143	5					"	"	"	"
May												
By Bussorah	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
By Suez	"	"	"	"	210	"	"	1	"	"	"	"
By Sea	254	"	"	1	"	"	"	"	"	""	"	"
June												
By Bussorah	140	"	"	1	123	227	175	2	140	261	200	2
By Suez	"	"	"	"	81	"	"	1	"	"	"	"
By Sea	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
July												
By Bussorah												
By Suez												
By Sea												

APPENDIX V (A)
Route to India by Suez

From London to:

	Marseilles	Alexandria	Suez	Bombay
	7	8	6	25
To	7	15	21	46
Leghorn	12	27	33	58
Venice	12	30	36	68
Constantinople	24	32	38	63

By another Calculation

From London		
	By Marseilles to India	63
	Leghorn	83
	Constantinople	83

The Shortest Date I find of Letters received at Cairo From London is 34 days.

Route to India by Bussorah

London to:

Aleppo (by Constantinople)	Bussorah	to Bombay
50	86	98

To Venice	13
Venice to Latichea	20
Latichea to Aleppo	3
to Bussorah	18
to Bombay	30

From India by the Red Sea

To Suez 45 Cairo 3 England 45.

	45	48		93
Smyrna		15	35	98
Leghorn		45	12	105

APPENDIX IV.
List of the Sultans and the Pashas
1768 - 1798

Year	Ottoman Sultans Contemporary Events	The Pashas of Egypt
1768	Turko-Russian Wars	Ali Bey's Independence.
1768-73	Bruce's Journey	
1769		Hafiz Ahmed (Murdered on arrival)
1770	Ante's Journey in Egypt	
1772		Hassan
1773		The Death of Ali Bey Khalil.
1773	Abd - El-Hamid I	
1774	The Treaty of Kainardji	Mustafa al-Nabulsi
1775		The Death of Mohamed Abu Dhahab
1776 -7	de Tott's Journey.	Vizir Mehmet Izzet
	Sonnini, Savary, Irwin	Ismail.
1778		
1779	Capper's Journey	
1781		Melek Ahmed
1782		Sheriff Ali
1783	Voiney's Journey(83-85)	Mehemet Yeken
1785	Cassas' Journey	Abdi
1786		
1788	Selim III.	
1789	French Revolution	Ismail eL-Tunisi
1791		Mehemet Izzet.
1792	Browne's Journey	
1794		Salih
1795	Olivier's Journey	
1796		Seyyid Ebu-Bekr (Bekir)
1798		

3rd July 1798 Debarcation of Bonaparte at Alexandria.

APPENDIX 1.
British Consuls and Representatives in Egypt 1583 - 1757

Harvey Millers	1583 — 85 ?
Paulo Mariani.	1585 — 88
No Consul, Under French protection,	1586 — 1600
Benjamin Bishop	1600 — 1
No consul (Under French protection,	1601 — 52
Abbot (unofficial)	1652 — 57
Bendysh (unofficial)	1657 — 64
No consul (Under French protection,	1664 — 98
Miles Fleetwood	1698 — 1704
Walter Merchant	1704 — 6
William Walters	1706 — 7
William Farrington	1707 — 19
Stephen Moore	1719 — 21
Philp Wheake	1721 — 31
Robert Barton	1731 — 50
Richard Harris	1751 — 7

Cleghorn Papers, London. 1925.
Comte de Saint-Priest, Mémoire sue L'Ambassade en Turquie.Paris.
Dictionary of National Biography.
Leeds (Duke). Political Memorandum. London. 1884.
Melville. L.. The life and letters of William Beckford.London. 1910.
Parks. G.. Mémoirs of the tife of Ledyard, New York. 1930.
Proceedings of the Assoication for Promoting the Discovery of the Interior of Africa, London. 1790 & 1802.

D. Periodicals, Magazines and Newspapers.

The Annual Register. 1778. 17 - . 1787, 1791.
The Analytical Review, III.
The British Critic. XVI XVIII.
Bulletin de l'Inst. Française d'Archéologie Orientale, T.V. 1906.
The Bulletin issued by the Egyptian Education Bureau.London. Jan. 1948.
The Critical Review. XXVII W XXVIII.
The Electric Review. III. 1812. 1815.
The Edinburgh Review I. XXVII.
English Historical Review, 40, 44.
The English Review. VII.

The Gentlemen's Magazine. 1753 - 1765. 1787.

The Morning Chronicle.
The Public Advisor.
The St. James' Chronicle (or British Evening Post).

Hakluyt.. Travels. Vol. V.

Hamilton. W.. Aegyptiaca, London. 1809.

Hornemann. F.. The Journal of F. Hornemann's travels in 1797 - 8 London. 1802 .

Irwin, E., A sertes of Adventures.. etc., London. 1781.

Irwin, E., E astern Epilogues. etc., London. 1780.

Lusignan. S.. A History of the Revoit of Ali Bey against the Ottoman porte.. etc..London. 1783.

Maeintosh. W.. Travels in Europe. Asia and Africa. London. 1782.

Mavor. W.. Collection of voyages and travels. Vois. XII. XIII. XIV.

Norden. L.. Travels in Egypt and Nubia. London. 1757.

Parsons. A.. Travels in Asia and Africa..etc London. 1808.

Perry. Th.. A view of the Levant, London. 1743.

Sanderson. Travels of (1584 - 1602). Hakiuyt Society.London. 1931.

Sandys. G. Relution of a Jukral London. 1837

Savary. C. Lettres sur L'Egypte. Etc.. Paris. 1755

Sonnini. Ch.. Voyage dons la Haute et Basse Egypt.. etc.. Paris. 1799.

Sutherland (?) Account of atour up the Straits from Gibraltar to Constantinople. London.(?).

Therenot. M. de. Voyages de. en Europe. Asie et Afrique. Amsterdam 1727.

Volney, C.F.. Voyages en syrie et en Eypte, Paris 1787.

2- Memoirs, Diaries and Biographies.

Antes. J.. Missionair der Brudergenende. Basa! 1869.

Antes. J.. Confidence in God. Illustrated in the life of J. Antes. a missionary in Egypt. London. 1799.

Arvieux. L.. Memoires (1653 - 79) . Paris. 1735.

Baldwin. G.. Potitical recollecttions relative to Egypt. London. 1801.

Baldwin. G.. Narrative of facts to the plunder of the English merchants by the Arabs.. etc..London (?).

Hoskins, H.L., British youtes to Indai., New york, London. 1928.
Jones, M.E. Warren Hastings in Bengal. (1772 - 1774), Oxford. 1918.
Knolles. R., General History of the Turkies, London. 1687.
Masson. P.. Histoire du commerce Français dans le Levant au 17 sié-
cle. Paris. 1896.
Middletcn. C.. Miscellaneous Works. Vol. IV.
Miller. W., The Ottoman Empire and its Successors 1801 - 1927,
Cambridge. 1927.
Jcurnal des Voyages de Monsieur de Monconys, Parte I. Lyon 1665 .
Phillips. C.H., The East India Company (1784 - 1834). Manchester
1940.
Pingand. Ch. G.. La France en Orient sous Louis XVI.
T. I., Paris.
Russei. 9., The later History of the Levant Company. 1733 - 1825.
Thesis submitted to Manchester university for the degree of M.A. 1935.
Wilson. A.T.. The Persian Gulf. Etc.. Oxford. 1928.
Wood. A.. History of the Levant Company oxford. 1935.

C. - Travels, Memoirs, Diaries and Biographies.

1- Travels.

Antes. J.. Observations on the Manners and Customs of the Egyptians
London. 1800.
Browne. W.C.. Travels in Africa. Egypt and Syria. London. 1799.
Bruce. J.. Travels to discover the Source of the Nile. Edinburgh.1799.
Capper. J. Observations on the passage to India through Egpt, Lon-
don. 1783.
Clayton. R. A Journal from Grand Cairo to Mount Sinai and back
again Missionaries de Propaganda Fde a Grand. Cairo 1722, London. 1753.
Dalton. R. Remarks on prints.. relative to the manners. Customs of the
present Egyptians. London. 1781.
Fay, E.. Letters from India. London. 1925.

House of Commons Reports II.

Hansard's Parliamntary History 29. (1791 - 92).

Statutes Public and private... etc. Vol. 33.

Melville MSS.

Spencer Papers, II.

Chatham Papers, 361.

B. General Works and Studies on special points.

Abboite, G.. Turkey and the Great Powers. London. 1916. Cambridge History of the British Empire, Vol. II.

Carré. M., Voyageurs et écrivains en Egypte, Le Caire 1932.

Charles - Roux.F.Autour d'une route. L'Angleterre l'Isthme et le Canal de Suez, Paris 1928.

Chew. Sc.. The Crescent and the Rose, New York.1937. Combe. E .. Precis de L' Histoire d'Egypte, T. III.

Cunningham. W., The growth of English industry and Commerce in Moslem, Times, Cambridge. 1921.

Description de l'Egypte. T. XII. Paris. 1822.

Dodwell. H. The founder of Modern Egypt. London 1931.

Encyclopaedia Brittannica.

ed. 1773. article on Egypt.

ed. 1778 - 82. article on Egypt.

ed. 1797. article on Egypt.

ed. 1860. article on Egypt.

Eton. W.. A Survey of the Turkish Empire, London. 1798. Ewart, J.. Observations on the Nature between Great Britain and Russia, London, 1791.

Furber, H., Henry Dundas, First Viscount Melville, London.1921

Ghorbal. Sh.. The beginnings of the Egyptian Question and the rise of Mehemet Ali, London, 1928.

Hertz, G.B.,British imperialism in the 18 th Century, London,1908 .

BIBLIOGRAPHY

A.- DOcuments.

C.S.P. (Spanish) 1580 -6.
__ (Venetian) 1581-91.
__ __ 1603 -7.
__ __ 1621 -7.
__ (Domestic) 1671.
S.p. 97. Vols. 51 - 55.
__ 105. Vols. 11.121. 170. 171.
__ 110. Vols. 42.
F.O. 78. Turkey 1- 35.
F.O. 24. Egypt Vols. 1. 2. 3.
W.O. 6. 21.
C.O. 77. 25.
I.O. F.R. "Egypt & the Red Sea," Vois. III. V.
I.O. H.M. 436 (2) - 145 (13).
I.O. M.R. Misc. 891.
I.O. C.P. Corresp.IV.
B.M. Add. MSS. 29.210.
— 15,778.
— 21,416.
— 33,557.
— 29,301.
— 38,394.
— 36,223.

H.M.C. Salisbury III.
__ Downshire I.
__ Finch I.
__ Dropmore II. IV, V.